بسم الله الرحمن الرحيم

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

المجلد الحادي والأربعون

العدد الثاني شوال ١٤١٦هـ - فبراير - مارس ١٩٩٦م

في هذا العدد

- شيخ الاسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى
- إعجاز القرآن و الاطار البيانى
- حكم الشريعة الاسلامية فى قضية التبرك و التوسل
- مؤتمر غويانا التبشيرى
- أسلوب النظم فى الرؤية الاسلامية
- الغزو الفكرى فى حياة المسلمين
- الجانب الاقتصادى فى فقه الامام الشافعى
- الاعتذار فى الشعر العربى الاسلامى
- من الغزو الفكرى إلى الغزو النفسى

تصدرها:

مؤسسة الصحافة والنشر

ندوة العلماء ص.ب ٩٣ - لكهنؤ (الهند)

Tel : 3 72336 - 73864

Regd. No. LW/NP 59

MAJALLAH ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY)

JANUARY — 1996

صدر حديثاً :

أبو الحسن علي الحسني الندوي

أضواء

على الحركات والدعوات الدينية والإصلاحية

ومدارسها الفكرية ومراكزها التعليمية والتربوية في الهند

ودورها ونجاحها

في إصلاح العقيدة ومحاربة الجاهلية والخرافية والدعوة

إلى الدين الحنيف الخالص والانتفاضة الإسلامية

يطلب الكتاب من :

المجمع الإسلامي العلمي

ص.ب: ١١٩ لكهنؤ (الهند)

قام السيد شاهد حسين بالطبع فى مطبعة باريك أوفست لكناؤ

من مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء لكهنؤ

بسم الله الرحمن الرحيم

أنشأها :

فقيد الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسني - رحمه الله تعالى -
في عام ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م

البعث الإسلامي

العدد الثاني - المجلد الحادي والأربعون
شوال ١٤١٦هـ - فبراير - مارس ١٩٩٦م

منهج ندوة العلماء

[تقوم فكرة ندوة العلماء ودعوتها في الدين والعقيدة على الدين الخالص، النقي من الشوائب، البعيد عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، وعلى العودة في تلقيه وفهمه وتفسيره، إلى منابعه الصافية الأولى، ومصادره الصحيحة الأصيلة، وفي العمل والسلوك، على التمسك بلباب الدين، والعمل بأحكامه والتحلى بحقيقته وروحه الربانية المشرقة الصافية، وفي تصورها للتاريخ على أن خير العصور هو العصر الذي ظهر فيه الإسلام، والجيل المثالي هو الجيل الذي نشأ في أحضان النبوة، وتخرج في مدرسة القرآن والإيمان الأولى].

أبو الحسن علي الندوي

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

==========

المراسلات

بعنوان مكتب البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص. ب ٩٣ - لكناؤ (الهند)
ALBAAS-EL-ISLAMI
C/o NADWATUL ULAMA
P.O.Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

حضرات أخواننا القراء !

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

وبعد فأحمد الله سبحانه وتعالى على هذا التوفيق الغالى الذى أكرمنا به من الاستمرار فى خدمة العقيدة والفكر وفى مجال البعث الاسلامى، بطريق مجلة « البعث الاسلامى » التى تجتاز الآن عامها **الحادى و الأربعين**، راجياً من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم وبروح من الاستقامة و الصمود، و الثبات على هذه الجبهة الدقيقة فى ظروف صعبة و أوضاع متأزمة تمر بها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم فى كل مكان نحو دينهم وشريعتهم ورسالتهم العالمية.

و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن ندخل بعض التحسينات المطبعية فى المجلة كما يراها ويسر بها القارىء الكريم، ولا يخفى عليكم أن تكلفة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق و الطباعة و أجور العمال، فنرجو أن يتكرم كل أخ كريم ببذل مجهوداته فى سبيل دعم المجلة و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها، و يشاطرنا فى أداء بعض الواجب الذى نتحمله الآن، ويسمح لنا بزيادة قليلة فى قيمة الاشتراكات.

و التحديات تتجدد كل يوم، وهى تنذر بشر مستطير، فنرجو أن تتعاونوا معنا على كل جبهة، و لكم شكرنا و تقديرنا

و الله من وراء القصد وهو يهدى السبيل.

الاشتراكات السنوية :

★ فى الهند : ماة و خمسون (١٥٠) روبية :
ثمن النسخة (١٥) روبية :

★ فى العالم العربى و فى جميع دول العالم.
٢٠/ دولاراً بالبريد السطحى.
و ٣٦/ دولاراً بالبريد الجوى.

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بالشيك : باسم « البعث الاسلامى » (ALBAAS-EL-ISLAMI) و ذلك بالعنوان التالى :

مكتب البعث الاسلامى،
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص. ب ٩٣
لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWATUL-ULAMA
P. O. Box: 93, Lucknow.
Pin-226 007 (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها.

محتويات العدد

الافتتاحية :

حضارة العلم والإيمان
لا حضارة الميوعة والانحلال
سعيد الأعظمي ٣

التوجيه الإسلامي :

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي ٩
سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
إعجاز القرآن والإطار البياني ١٦
الدكتور رشيد بلحبيب

الدعوة الإسلامية :

حكم الشريعة الإسلامية في قضية
التبرك والتوسل ٢٤
سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز
مؤتمر غويانا التبشيري ٣٦
الدكتور محمد بن سعد الشويعر
أسلوب النظم في الرؤية الإسلامية ٤٦
الدكتور علي القاضي

دراسات و أبحاث :

الغزو الفكري في حياة المسلمين ٥٤
الدكتور عمر يوسف حمزة
فضل حق بن فضل إمام . الخيرآبادي ٦٧
الدكتور رضوان علي الندوي

الفقه الإسلامي :

الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي ٧٦
الدكتور أ/ محمد الدسوقي

دراسات أدبية :

الاعتذار في الشعر العربي الإسلامي ٨٥
د/ عطية خليل الأنصاري

صور و أوضاع :

من الغزو الفكري إلى الغزو النفسي ٩٥
واضح رشيد الندوي

أخبار اجتماعية وثقافية :

مجلة الأدب الإسلامي ٩٨
شهادة المسجد البابري ٩٨
سماحة العلامة الشيخ السيد
أبي الحسن علي الحسني الندوي
يزور الربوع المقدسة ٩٩
قلم التحرير

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ عبد السميع الندوي
في ذمة الله تعالى ٩٩
المهندس اقتدار علي خان
في ذمة الله تعالى ١٠٠
قلم التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

حضارة العلم والإيمان
لا حضارة الميوعة والانحلال

هذا الكوكب الأرضي الذي نعيش فوقه ، والذي هو يمتد على مسافة أربعين ألف كيلومتر ، يتحوّل اليوم إلى مدينة صغيرة يتصل فيها البعض بالبعض ، وتتداخل فيها الحياة بحيث يسمع فيه الناس دقات القلوب ، ويشاهدون الأحداث ، ويتبادلون الأفكار والمعلومات بأقل من لحظة ومن مسافات بعيدة ، وذلك بالتسهيلات الحيوية التي وفّرتها الحضارة الإنسانية في ضوء العلم والتقنية ، ورفعت قيمة الإنسان الإبداعية و وصلته بالملكوت الأعلى لكي يعيش في ظله آمنًا مطمئنًا ، يحنّ إلى ربه الكريم ويطلق لسانه وجوارحه بالشكر له ، والخضوع أمامه ، والتدبر في شئون الخلق والأمر واختلاف الليل والنهار .

ومن هنالك تسنّى للإنسان المعاصر أن يكتشف الكون بآيات الله وقدراته الواسعة ، والطاقات الهائلة التي أودعها في ذراته ومكنوناته وما يحويه البر والبحر والجوّ من دلالات وآيات وآثار وأدوار ، ذات أهمية بالغة تعجز عن إدراكها عقول البشر ، وتحتار في آفاقها الواسعة البعيدة المدى مدارك الإنسان ، ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ ولا يزال الإنسان في بحث مستمر عن هذه الآيات التي صرح بها الله سبحانه وتعالى في قوله ، وأشار إلى أنها مستمرة لا تنفد ولا تقف عند حد ، مهما نفدت طاقات الإنسان وعجزت وسائله عن استقصائها والتنبّأ باتساعها ومساحاتها الممتدة في الآفاق وفي الأنفس ، التي ليس من وسع البشر أن يحدها ويتوصل إلى المدى الأخير من

حدودها .

إن الاطلاع على آيات الله تعالى والانتفاع بها في مصالح الحياة والمجتمع ، والاعتماد عليها في تسيير دفة النشاطات والأعمال لمن مظاهر الحضارة التي تساعد المرء على العيش في هدوء و أمن و سلام ودعة ، وتمنحه القوة على مواجهة الظروف المضادة التي تحول دون تقدمه نحو الوجهة الصحيحة ، وتمنعه عن القيام بوظيفة الحياة في مجالاتها المختلفة ، وعن أداء مسئولية الإنسان الذي خلق لبناء العالم وإسعاد البشرية ، وتحسين العلاقات بين الله والناس وبين الناس والناس .

وهذه الحضارة التي يوجه إليها الإسلام ويشجعها وينميها ، ثم يزيّنها بالآيات الكونية ، ودلائل القدرة الإلهية التي تخلق وتأمر ﴿ ألا له الخلق والأمر • تبارك الله رب العالمين ﴾ إنها حضارة الإنسان التي تنسجم مع الطبيعة ، وتهديها إلى جميع ما تحتاج إليه من وسائل وآلات وأدوات وأساليب فتوفر لها العيش في ظل من الأمن والسعادة والمتعة الروحية واللذة الجسدية ، والراحة القلبية ، يتجلى لها النور الإيماني وتتنور لها البصيرة التي ترى في ضوئها طريقًا واضحًا مستقيمًا تتابع عليه سيرها نحو الغاية الواضحة المطلوبة تحت ظلال وارفة من العلم والإيمان والعمل الهادف الصالح الذي يعين على الرؤية الواضحة للنظر من خلالها إلى الأشياء ، ويعيّن موقف الإنسان من نفسه والكون والحياة .

جاء الإسلام بالحضارة الإنسانية بكل ما فيها من معنى ، فشملت الحياة من جميع النواحي المعنوية والمادية ، شملتها بتوجيهات واضحة في كل مجال ولدى كل نشاط وعمل ، وفتح أبواب العلوم والمعارف وشجع الإنسان للتنقيب في أسرار وحقائق الكون ، والكشف عن خباياه ، ومنحه قوة الإبداع العلمي والصناعي والتقني ، وجعل في حوزته كل الإمكانيات من غير تخصيص المسلم عن غيره ، والمطيع عن العاصي ، فكان

ذلك حافزًا كبيرًا للإنسان على استخدام مواهبه العقلية في الإبداعات والتسهيلات الحضارية وتفجير الطاقات الكونية بما أودع الله في الكون والنفس ، حتى يتبين للناس أنه الحق ، ويتقوى إيمانهم بربهم وتتوثق صلتهم به طوال رحلة الحياة ، دون أن يبحثوا عن القوة الكامنة الخارقة في الأدوات والآلات تارة ، وفي الحديد والطاقات الالكترونية تارة أخرى ، وينصرفوا عن التفكير في ذات الإله الذي ليس له ند ولا شريك في أي شئ ، ولكنه على كل شئ قدير ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير ﴾ ﴿ تبارك الذي جعل في السماء بروجًا وجعل فيها سراجًا وقمرًا منيرًا • وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذّكر أو أراد شكورًا ﴾ .

ولكن الغرب المتمرد لم يرض بإدراك هذا السرّ ، وظل في علو ونسيان يزعم أنه هو صاحب الامتياز وحده ، وكل ما يعيشه العالم الحديث من تقدم واتساع في الحضارة الآلية والمدنية الفاخرة إنما هو نتيجة للجهود العقلية التي بذلها أهله في مجالات العلم والتقنية ، ليس غير ، ومن هذا المنطلق جاءت الحضارة الغربية بحدها وحديدها ، وأدواتها و وسائلها تدوس القيم وترفض العلاقات ، وتتخذها وسيلة للاستعمار والاستعباد ، وتوزيع العالم البشري بين واقف على قمة العلوم والتكنولوجيا ، ومتقدم في الحضارة ، ومتخلف تابع يقلد الغرب في كل ما يأتي منه ، وسمى جزءًا كبيرًا من العالم بالعالم الثالث ، الذي يعنى العجز عن كل تقدم ، والافتقار إليه في كل مجال من التعليم والاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وهو متطلع إلى ما يرمى إليه الغرب من فتات مائدته .

ويأتي في هذا النوع من العالم جميع بلدان المسلمين أو العالم الإسلامي

حيث يعيش المسلمون ملتزمين بالقيم والأخلاق والعقيدة والسلوك ، ويتمتعون بالطمأنينة والأمن والهدوء ، ويتمسكون بالشريعة الإلهية ويطبقونها على الحياة الفردية والجماعية ، فيعيشون أمة متميزة ذات طابع خلقي عقدي ، وعلاقات إنسانية وأخوية ، وثقة إيمانية ، يرتبط كل فرد منها بآخر برباط وثيق من الحب والاحترام والنصح والخير وتبادل المنافع والتعاون على البر والتقوى ، والأسرة لها مكانتها ودورها في بناء المجتمع الأفضل السعيد ، يقوم أعضاؤه بوظائفهم التي نيطت بهم ويؤدى كل واحد مسئوليته بغاية من الدقة والأمانة ، ولا يتجاوزون الحدود التي قررها الإسلام ، لا في الشئون الاجتماعية ولا في الأمور التعبدية أو فيما يتعلق بأداء الحقوق ، ولكل واحد من الرجال والنساء دور سلوكي مهم جدًا في بناء الإنسان المثالي المطلوب في هذا العالم ، الذي يُسهم في تشكيل الحضارة وتسييرها على الخط الطبيعي .

وبأداء هذا الدور في العالم يتسلم المسلم زمام القيادة العالمية ، ويوفر الوسائل للسعادة والرخاء من كل نوع ويمهد الطريق نحو تعميم الأمن والرفاهية في العالم كله فتتحقق العدالة الاجتماعية في الأرض ، وتنطلق الحياة من أسار الظلم والاضطهاد وذلة العبودية للإنسان ، إلى ساحة من حرية العمل البنّاء ، ونشر الحب والسلام ورسالة الإنسانية بين عباد الله ، وإخلاص العبادة لله تعالى ، وتأكيد مفهوم الحضارة الإيمانية وتمثيل آياتها وأشكالها الجميلة النيرة بين سُكان العالم ، حيث يتعارفون بالفضائل الخلقية والقيم الإنسانية ، ويتبيّنون الهدف الواضح المبين من الحياة ، والموقف الصريح المعلوم من الكون والإنسان .

ولكن الحضارة المادية الغربية الحديثة التي تتبجح بالتطور الهائل وتتبختر بالتقدم العلمي والتقني الذي أصبح ظاهرة عالمية ، ودليلاً على

قدرة الله تعالى وآياته الباهرة التي يريها في الآفاق وفي الأنفس ، إنما يستخدمها الماديون الغربيون ضد تعاليم الإسلام وبناء الإنسان الذي تتوخاه الحضارة الإسلامية ، وقد بدأوا بهدم المعنويات والقيم الإنسانية بالوسائل الإعلامية التي كان اختراعها بإذن من الله لصالح العالم وتحويله إلى حيّ واحد ، أو بالأصح إلى أسرة واحدة ، يرتبط فيها كل فرد بالآخر ويسمع دقات قلبه ، إلا أن أجهزة الاعلام التي تملأ العالم كله اليوم ببرامجها المسموعة والمقروءة والمرئية ، وبقنواتها التلفازية التي تقوم بالبث المباشر وتغزو غرف النوم من غير انقطاع وبأفلام عارية هدامة ، إن هي إلا مؤامرة خطيرة دبرها اليهود وأتباعهم لتحطيم أواصر القرابات وتمزيق جسم المجتمع المسلم والأسر والعائلات المسلمة ، وانتهاك حرمات وأعراض المسلمين التي تحمل قيمة كبيرة في الشريعة الإسلامية ، على قارعة الطريق .

يركز الغرب اليوم باسم الحضارة على تعرية المسلم والمسلمة عن كل لباس من الحشمة والحياء ونشر ميكروبات الفساد والجنس والإباحية بين الذكور والإناث من أفراد العائلة صغارًا وكبارًا ، وأبوين وأبناءً ، وأخوات وإخوانًا ، ذاك لكي يذوب الفرق بين المحارم وغير المحارم ، ويتصل كل فرد من أفراد المجتمع أو الأسرة على أساس الشهوة الجنسية ، وإشباع الغرائز ، فيتهدم السور المنيع الذي أقامه الإسلام لصيانة الروابط العائلية والعلاقات الإنسانية ، وإضفاء اللون الثابت لقدسية العرض والروح والمال على حياة الإنسان ، ومجتمعه الذي يبنيه .

منذ أن غزت رزينة البث المباشر عقر الديار ومخادع البيوت ، وبدأت الرغبة تتضاعف في مشاهدة الصور الخليعة والبرامج الماجنة من الأفلام والمسلسلات الخبيثة ، أقبلت علاقات الأسر والبيوتات على

الانهيار ، وذوبان الحياء والعار ، وجعلت تنتشر الأوبئة الخلقية والخلاعة والاستهتار بين أفرادها ، وتنجح مكايد العدو في إذابة المسلمين خلقيًا وعقائديًا وعلاقات اجتماعية ، ومهما حاول كبار الأسر والبيوت وضع الحد على رؤية الأفلام والصور العارية ولكن دون جدوي ، بل الواقع أن كبير العائلة ينضم كذلك إلى أولاده وأحفاده ويتمتع بمشاهدة ما هم يشاهدون .

نشرت بعض الجرائد أخبارًا عن انتشار عوامل الفاحشة بين الأشقاء والشقيقات ، وحتى بين الأبناء والأمهات ، وهل يُصدق أن يطالب الابن الشاب الذي تعوّد على مشاهدة هذه البرامج الخليعة عبر قنوات البث المباشر ، أن يطالب أمه بإشباع شهوته الجنسية ويعامل معها معاملة المديقة ، وتلوذ أمه بالفرار خوفًا من ابنها الوحشي ، وتستغيث الناس لكي يدركوها من ابنها الذئب .

هل تستطيع القنابل النووية أن تدمر بلدان وأسر المسلمين كما تدمرها هذه المؤامرة الإعلامية ، والمخططات الإجرامية التي تنفذ باسم الحضارة والتطور ، وباسم التكنولوجيا الحديثة .

كلا ! إن هذه الجريمة التي تقع فريستها العائلات والأسر والبلدان التي تنتمي إلى المسلمين ، تبلغ في الخطورة والفاعلية والعمق إلى ما لا تبلغه الحروب التي تنشب بأحدث ما يُنتج اليوم من الأسلحة المدمرة ، والمفاعل الذرية ، في مصانع الغرب .

فهل نشعر بمسئوليتنا نحو هذا الواقع الأليم ، وننهض بما يسعنا من مقاومة ضده ؟ كلنا في نطاقه ، وبحسب إمكانيته ، لكي لا يصدق علينا نحن المسلمين ما قد قال عزّ من قائل : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ .

سعيد الأعظمي

التوجيه الإسلامي

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي
وخطته في الإصلاح والتجديد

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

قام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي (١١١٤-١١٧٦هـ) المشهور بالشيخ ولي الله بعملية التجديد والإصلاح ، وهو أحد حكماء الإسلام ونوابغه وكبار المفكرين الإسلاميين (في الهند)، من طراز الإمام الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيمية ، وقد لاحظ خمس نقط في حياة الشعب الهندي .

خطتـــه في الإصلاح :

١- إن كثيرًا من المسلمين قصروا في فهم التوحيد الإسلامي وأحاطت بعقيدتهم غيوم من الجهالات والظنون الفاسدة والعادات الجاهلية ، فلابد من إبراز هذا « التوحيد » في نقائه و وضوحه ، وشرح ما كان عليه أهل الجاهلية من اعتقاد في الله حتى يظهر الفرق بين عقيدتهم وبين ما جاء به الإسلام .

٢- يجب أن يكون للشعب اتصال مباشر بالكتاب والسنة ، وقد حال العلماء بينه وبين دراسة القرآن وفهمه ، بعلة تعذر فهمه للعامة ، وخوف انحلال سلطتهم الروحية وسيادتهم العلمية ، فلم يترجموا ألفاظ القرآن إلى لغة البلاد ولم ينشروا كتب الحديث ، فلابد اذن من نقل معاني القرآن وأحكامه إلى لغة البلاد ، و الإقبال على كتب السنة و حديث رسول الله -ﷺ- .

٣- ثقافة علماء الهند ضعيفة ضئيلة في العلوم الدينية ، وبضاعتهم مزجاة

في الحديث خصوصًا ، فلابد من نشر علم الحديث ، فدرس الصحاح والمؤطأ ، وأقبل على دراسة هذه الكتب حتى أصبحت للهند مكانة مرموقة في العالم الإسلامي في خدمة الحديث بفضل جهود هذا البيت العظيم ومؤسسته .

٤- لاحظ أن العالم الإسلامي سوف يستقبل عصرًا عقليًا ، وثورة فكرية ، فلابد من شرح نظام الخلافة في الإسلام ، وأساليب الإسلام وأسسه في تنظيم الحياة والمجتمع ، فألف كتبًا لا تزال فريدة في مكتبة الإسلام العامرة ، (حجة الله البالغة) و (إزالة الخفاء في خلافة الخلفاء) .

٥- لاحظ أنه لا أمل في نهضة الأسرة الملكية الهندية ، وتجديد شباب الدولة التيمورية ، لأنه - كما قال ابن خلدون - :

« إذا نزل الهرم بدولة لا يرتفع » فلا فائدة في بذل القوة لإصلاحها وتقويتها ، ولابد من إعداد جماعة تحدث انقلابًا إسلاميًا ، وتؤسس دولة إسلامية جديدة على أساس ديني علمي جديد .

نجاحه في عمله :

قام الشيخ ولي الله وأصحابه بمهمة هذا التجديد الإسلامي ، خير قيام ، فنشروا العلم الصحيح ، وأذاعوا مصادر الدين الأولى ، وألفوا كتبًا دسمةً قويةً مبتكرةً ، تمهد العقول والنفوس لإحداث انقلاب إسلامي وإنشاء دولة إسلامية ، وخرج تلاميذ ورجالا يقومون بهذه المهمة ، وقام بعده نجله الأكبر سراج الهند الشيخ عبد العزيز الدهلوي (م ١٢٢٩هـ) فدرس وألف ، وخرج وخلف التلاميذ الكبار والعلماء الفحول ، نشروا علم الحديث ، وشمروا عن ساق الجد ، في نصر الدين ، ومحاربة البدع ، والدعوة إلى الكتاب والسنة ، وتزكية النفوس ، حتى نفقت سوق الحديث وقامت دولة العلم ، واستعدت النفوس للنصر المؤزر للدين .

لم يقتصر الإمام الدهلوي على هذه الخطابات الخاصة لهذه الطبقات

الخاصة من الناس ، بل شدد النكير على تلك الطقوس والتقاليد الهندوكية ، والبدع والشعائر غير الإسلامية التي تسربت إلى المجتمع المسلم وشاعت فيه بسبب الاختلاط الطويل بالهنادك ، ومواطنتهم بعدة قرون ، وعدم الاهتمام بالسنة المشرفة والحديث الشريف ، وغفلة العلماء وتقصيرهم ، وعدم شعور الحكومة المسلمة بمسئوليتها وفقدان الحسية الدينية ، فالتزم بها المسلمون التزامًا شديدًا .

شنع الشيخ عبد العزيز الدهلوي على تلك المعتقدات الباطلة و الأوهام و الخرافات الجاهلية ، و تقليد غير المسلمين وأتباعهم وعابهم عليه ، وقد كان عامة العلماء المشتغلين بالعلوم العقلية والفنون الحكمية لا يعيرون لهذه العادات والتقاليد الجاهلية بالاً ويرونها هينة خفيفة ، أو يتغاضون عنها فرارًا من الوقوع في المشاكل ومعارضة الجماهير .

الإمام أحمد بن عرفان الشهيد -رحمه الله-

و رفقتـــــــه ، و تأثيرهم في الحياة :

وفي الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري ، قام السيد الإمام أحمد ابن عرفان الشهيد (١٢٠١-١٢٤٦هـ) الذي تخرج على الشيخ عبد العزيز - ومعه الشيخ محمد إسماعيل بن عبد الغني بن الشيخ ولي الله الدهلوي - فدعا الناس إلى الدين الخالص والتوحيد واتباع السنة ، وحارب الشرك والجاهلية والبدع ، محاربة سافرة شديدة ، وبث في الشعب روحًا دينيةً قويةً لم تعهد من قرون متطاولة ، ودعا الناس إلى الإيمان والإحسان والتقوى ، والجهاد في سبيل الله ، وقام بجولات واسعة في الهند ، تاب في خلالها ألوف من المسلمين ، وأقفرت الحانات ، وغصت المساجد ، وكسدت سوق البدع ، والتف حوله المخلصون ، والعلماء الربانيون ، وخرج للحج عام ١٢٢٦هـ ومعه أكثر من سبع مائة رجل ، وتشرف بالبيعة والتوبة مئات

ألوف من المسلمين في هذا السفر ، وكان الناس يقصدونه من كل صقع ويدخلون في الخير أفواجًا ، حتى لم يحرم ذلك المرضى في المستشفى ، وكان الناس يتساقطون عليه كالفراش ، وأسلم عدد كبير من الكفار ، وكان من تأثير مواعظه ودخول الناس في الدين وانقيادهم للشرع أن وقفت تجارة الخمر في كلكتا - وهي كبرى مدن الهند ومركز الإنجليز - وأقفرت الحانات ، واعتذر الخمارون عن دفع ضرائب الحكومة لكساد السوق ، وتعطل تجارة الخمر .

وتدل الإحصاءات الدقيقة الأمينة للمنتفعين بهذه الدعوة ، والتيار الديني القوي العاصف ، على قوة تأثير الإمام أحمد بن عرفان الشهيد - رحمه الله - ، واتساع نطاق من انتفع به ، وتغيرت حياته ، عقائديًا وعمليًا ، وخلقيًا ، فقد تحقق أن من بايع وتاب على يده ، يبلغ عددهم إلى ثلاثة ملايين شخصًا ، ومن أسلم على يده من الوثنيين وغير المسلمين ، يبلغ عددهم إلى أربعين ألفًا ٤٠٠٠٠ .

الشيخ إسماعيل الشهيد - رحمه الله - :

أما الشيخ إسماعيل الشهيد ، فقال الشيخ محسن بن يحيى الترهتي في « اليانع الجني » :

« - إنه كان أشدهم في دين الله ، واحفظهم للسنة ، يغضب لها ، ويندب إليها ، ويشنع على البدع وأهلها » .

وقال العلامة صديق بن حسن القنوجي (م ١٣٠٧هـ) في « الحطة بذكر الصحاح الستة » في ذكر الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي .

إن ابن ابنه المولوي محمد إسماعيل الشهيد - رحمه الله - اقتفى أثر جده في قوله وفعله جميعًا ، وتمم ما ابتدأه جده ، وأدى ما كان عليه ، وبقي ما كان له ، والله تعالى مجازيه على صوالح الأعمال ، وقواطع الأقوال ،

وصحاح الأحوال ، ولم يكن ليخترع طريقًا جديدًا في الإسلام ، كما يزعم الجهال ، وقد قال الله تعالى :

﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادًا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ وهو رحمه الله تعالى أحيا كثيرًا من السنن المماتات ، وأمات عظيمًا من الأشراك والمحدثات ، حتى نال درجة الشهادة العليا ، وفاز من بين أقرانه بالقدح المعلى ، وبلغ منتهى أمله ، وأقصى أجله .

أما كتاب « تقوية الإيمان » فإنه كتاب أصبح شعارًا وعلماً للدعوة إلى التوحيد ، وبيان الحق الصريح ، وقد نفع الله به خلائق في شبه القارة الهندية لا يحصيهم إلا من أحصى رمال عالج وحصى البطحاء ، وقد بلغ عددهم إلى ملايين من غير شك .

وقد صدر هذا الكتاب عن قلب جريح يتقطع بمشاهدة ما كان عليه المسلمون في ذلك اليوم من بعد من التعاليم الإسلامية ، وخضوع للوثنية الهندية ، وتمسك بالعادات الجاهلية ، و قد زاد في تأثيره و قبوله ، دموع عين باكية على الإسلام ودم زكي أريق في سبيل إحياء هذا الدين ، وإدالته من الجاهلية ، وتأسيس حكومة شرعية تقوم على منهاج الكتاب والسنة ، ويكون الدين كله لله .

وقد قرن - رحمه الله - الدعاء بالدعوة ، والجهد بالجهاد والشهادة للحق بالشهادة في الحق ، وذلك لباب التوحيد ، و غاية الإخلاص ، و كمال الصدق ، و تمام الوفاء ، وصدق الله العظيم :

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ [سورة الأحزاب ، الآية : ٢٢]

فكان لكتابه من القبول والتأثير ، والذيوع والانتشار ، ما لا يكون إلا

لكتابات كبار المخلصين ، والعلماء العاملين ، والدعاة المجددين .

وسرّ قوة الكتاب صراحته وتشخيصه للأدواء ، ومظاهر الشرك ، ومواضع الإنزلاق ، وأنه يضرب على الوتر الحساس ، ويصيب ضعف الاعتقاد ، وما فتن به المسلمون في العهد الأخير من الغلو و التقديس والتعظيم ، وتقليد الأمم الوثنية ، والعادات الجاهلية ، في صميمه ، وقد اعتاد الناس أن لا يفزعوا للمواعظ والخطب التي تلقى على المنابر ، أو البحوث العلمية التي تتناول موضوع التوحيد والشرك بصفة إجمالية عامة ، إذا لم تتعرض للأمراض التي يعانونها، والأخطاء التي يرتكبونها، العادات التي لا يمكنهم الفطام عنها ، وللأشخاص و الأماكن و الشعائر التي يغلون فيها ، فيتجاهلون كل ذلك ، ويتظاهرون بأن الواعظ أو الكاتب لا يعنيهم ، وإنما يعني المشركين القدامى ، وعباد الأوثان في الجاهلية الأولى ، أما إذا تعرض هذا الكاتب أو الواعظ لواقع حياتهم ، و وضع يده على عللهم وأسقامهم ، وحدد مواضع فتنتهم ، لم يسعهم أن يتغافلوا عنه ، فأعلنوا الحرب عليه ، ونادوا بعدائه ، وهذا شأن الداعي المخلص الذي ملكته الفكرة ، واستحوذ عليه الشعور ، وتذوق القرآن ومنهج الأنبياء في دعوتهم تذوقًا حقيقيًا ، فإنه القرآن ، ويرضى ربه ، ويريح ضميره ، ويبرئ ذمته (١) .

مدرستان للداعين إلى الكتاب و السنة و العاملين بالحديث :

ونشطت حركة نشر الحديث والدعوة إلى الكتاب والسنة ونبذ البدع والخرافات ، بعد ما قام تلاميذ الإمام ولي الله الدهلوي وأنجاله وأحفاده ، بتدريس كتب الحديث ومعاداة البدع والعادات الجاهلية المحلية ، وقام

---

(١) نقل كاتب هذه السطور الكتاب إلى العربية وسماه : « رسالة التوحيد » وقد اطلع عليه أحد الأساتذة السعوديين الكبار ، فقال : « هذا منجنيق التوحيد » .

السيد الإمام أحمد بن عرفان الشهيد - رحمه الله - ، والعلامة محمد إسماعيل الشهيد - رحمه الله - ، بالدعوة إلى الدين الخالص ، والعقيدة الصحيحة السنية ، والرجوع إلى ما كان عليه السلف الصالح والقرون المشهود لها بالخير ، ونشطت العقول وتحركت الهمم ، وكثر الدعاة إلى الدين والمكافحون للفساد ، وكثر المعتنون بعلوم الكتاب والسنة ، والمؤلفون في المقاصد الدينية ، في اللغة الأردية الشعبية في أسلوب سهل واضح .

ونشأت من هذه الحركة التعليمية الدعوية مدرستان للحديث والسنة ، إحداهما : مدرسة « صادق فور (١) السلفية » رائدها العلامة ولايت علي العظيم آبادي من كبار خلفاء السيد الشهيد ، وأحد العلماء الربانيين في الهند في العهد الأخير .

يقول العلامة السيد عبد الحي الحسني - رحمه الله - وقد حضر دروسه ، وأجازه الشيخ في الحديث .

« رزقه الله سبحانه عمرًا طويلاً ونفع بعلومه خلقًا كثيرًا من أهل العرب والعجم ، انتهت إليه رئاسة الحديث في بلاد الهند ، وكان آية ظاهرة ونعمة باهرة من الله سبحانه ، في التقوى والديانة ، والزهد والعلم والعمل ، والقناعة والعفاف والتوكل والاستغناء عن الناس ، والصدق وقول الحق ، والخشية من الله سبحانه والمحبة له ولرسوله -ﷺ-، وكان شديد الإنكار على ما خالفه من المذاهب ، مُداعبًا مزاحًا ، متواضعًا حليمًا ذا جراءة و نجدة (٢) .

++++

---

(١) صادقفور حي من أحياء مدينة « پتنا » عاصمة ولاية « بيهار » كانت مركزًا لأنصار السيد الشهيد - رحمه الله - .

(٢) ليرجع إلى الجزء الثامن من كتاب « الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام » .

إعجاز القرآن والإطار البياني

[الحلقة الثانية الأخيرة]

سعادة الدكتور رشيد بلحبيب

٤- التقديم ومراعاة الفاصلة :

إذا كان الله سبحانه قد اختار للقرآن ترتيلاً تبدو فيه نغمة ألفاظه وزينتها وحسنها فلابد أن تكون ألفاظه قد اختيرت لمزية في كل كلمة فضلاً عن ترتيبها وطرق نظمها ، وهذا الحكم إن كان ينطبق على سائر ألفاظ القرآن فإنه ينطبق بالأحرى على الكلمات التي تقع في فواصل الآيات فهذه أولى بالعناية لأنها تجمع بين الوظيفتين المعنوية والإيقاعية ، وبلاغة الكلام تقتضي أن يراعى في اختيارها أن تكون قادرة على الوفاء بحق المعنى وحق التناسب الإيقاعي في آن واحد (٤٥) .

وكما يعمل التقديم والتأخير الذي يتيحه النظام اللغوي على إقامة وزن البيت يعمل كذلك على تهيئة استواء بناء الجملة في اتجاه الفاصلة وتأتي مستقرة غير جافية .

يقول محمد حماسة في السياق نفسه : « وفي القرآن الكريم نماذج كثيرة للتقديم والتأخير وبخاصة عند نهاية الآيات القصيرة والطويلة على السواء حيث يهيئ التقديم والتأخير رعاية توافق كثيرًا من الفواصل القرآنية فضلاً عما يمكن أن يفهم من هذا التقديم والتأخير غير ضبط

الإيقاع الصوتي للفاصلة القرآنية من معان أخر» (٤٦) .

لقد أصبح من البين - من خلال النظر في مصادر العربية وتتبع حديث البلاغيين عن أحوال المسند والمسند إليه ومتعلقات الفعل - أن مراعاة الفاصلة (٤٧) من العلل المعتبرة والأسباب الداعية إلى التقديم ، أو لأن في التأخير إخلالا بالتناسب أو بالنظم .. (٤٨) إلى درجة أن ابن الأثير قد جعل مراعاة النظم أبلغ وأوكد وأهم من الاختصاص عند حديثه عن غرضي التقديم والتأخير (٤٩) .

ففي قوله -عزوجل- : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ [سورة الفاتحة ، الآية : ٤] ، تأخرت الاستعانة عن العبادة وهي قبلها ، يقول الزركشي : « وإنما أخرت لأجل فواصل السورة » (٥٠) .

ورفض ابن الأثير تعليل التقديم بالاختصاص في الآية قال : « وقد ذكر الزمخشري في تفسيره أن التقديم في هذا الموضع قصد به الاختصاص وليس كذلك ، فإنه لم يقدم المفعول به على الفعل للاختصاص وإنما قدم لمكان نظم الكلام ، لأنه لو قال : نعبدك ونستعينك لم يكن له من الحسن ما لقوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ ألا ترى أنه تقدم قوله تعالى : ﴿ الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • مالك يوم الدين ﴾ فجاء بعد ذلك قوله : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وذلك لمراعاة حسن النظم السجعي الذي هو على حرف النون (٥١) .

أما قوله تعالى : ﴿ فأوجس في نفسه خيفةً موسى ﴾ [سورة طه، الآية: ٦٦] فقد جعله الزركشي مثالاً لتأخير ما أصله أن يقدم قال : « لأن أصل الكلام أن يتصل الفعل بفاعله ويؤخر المفعول لكن أخر الفاعل وهو موسى

لأجل رعاية الفاصلة » (٥٢) .

قال ابن الأثير : « وتقدير الكلام : فأوجس في نفسه خيفة ، وإنما قدم المفعول على الفاعل وفصل بين الفعل والفاعل وبحرف الخبر قصدًا لتحسين النظم (٥٣) أو لأن في التأخير إخلالا بالتناسب كما يقرر التفتازاني لأن فواصل الآي على الألف (٥٤) .

ومنه قوله -عزوجل- : ﴿ خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلوه ﴾ [سورة الحاقة ، الآيتان : ٣٠-٣١] ، قال ابن القيم : « و لو قال : صلوه الجحيم لأفاد المعنى و لكن كان يفوت السجع فلذلك كان الأحسن تقديم الجحيم » (٥٥) .

وفي قوله : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر ، وأما السائل فلا تنهر ﴾ [سورة الضحى ، الآيتان : ٩-١٠] قدم اليتيم والسائل للاحتفاظ بالموسيقى في الآيات القرآنية ، قال ابن الأثير : « وإنما قدم المفعول لمكان حسن النظم السجعي » (٥٦) .

ومثال آخر قوله -عزوجل- : ﴿ إن الله لا يظلم الناس شيئًا ولكن الناس أنفسهم يظلمون ﴾ [سورة يونس ، الآية : ٤٤] ، فتقديم كلمة : « أنفسهم » يخدم عددًا من الجهات فهو من حيث النسق يؤدي إلى توافق الفاصلة القرآنية مع الفواصل السابقة واللاحقة إذ تختم الفواصل بواو المد أو ياء والنون ولو تأخرت ، فقال : ﴿ ولكن الناس يظلمون أنفسهم ﴾ لاختل نسق الفواصل القرآنية ورؤوس الآي (٥٧) .

وقد استعمل تقديم الظرف في القرآن كثيرًا مراعاة لحسن النظم بقول ابن الأثير في قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾

[سورة القيامة ، الآيتان : ٢١-٢٢] : « فتقديم الظرف ههنا ليس للاختصاص ، وإنما كالذي أشرت إليه في تقديم المفعول ، وأنه لم يقدم للاختصاص وإنما قدم من أجل نظم الكلام لأن قوله تعالى : ﴿ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ أحسن من أن لو قيل : وجوه يومئذ ناضرة ناظرة إلى ربها ، والفرق بين النظمين ظاهر (٥٨) .

وكذا قوله تعالى : ﴿ والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق ﴾ [سورة القيامة ، الآيتان : ٢٨-٢٩] فإن هذا روعي فيه حسن النظم لا الاختصاص في تقديم الظرف (٥٩) .

وقد أخر الفاعل لأجل الفاصلة في قوله تعالى : ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ﴾ [سورة القمر، الآية : ٤١] ، وقوله : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٢] أخر الفعل عن المفعول فيهما لتوافق رؤوس الآي (٦٠) .

وجعل السيوطي مما قدم فيه خبر كان رعاية للفاصلة قوله تعالى : ﴿ ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ [سورة الإخلاص ، الآية : ٤] (٦١) .

هذه بعض النماذج التركيبية التي قدمت فيها بعض الكلمات على بعض رعاية للفاصلة ويمكن تتبع هذا الأمر فيما أسميته بالتقديم الدلالي كتقديم ما هو متأخر في الزمان نحو قوله -عزوجل- : ﴿ فلله الآخرة والأولى ﴾ [سورة النجم ، الآية : ٢٥] ، قال ابن الصائغ : « ولو لا مراعاة الفواصل لقدمت « الأولى » كقوله تعالى : ﴿ له الحمد في الأولى والآخرة ﴾ [سورة القصص ، الآية : ٧٠] (٦٢) .

ومن أشهر الأمثلة قوله تعالى : ﴿ برب هارون وموسى ﴾ [سورة طه ،

الآية : ٦٩] .

قال الرازي : « إنما قدمه ليقع موسى مؤخرا في اللفظ فيناسب الفواصل و أقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون - عليهما السلام - ، ولما كان السجع قيل في موضع « هارون وموسى » ، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل : « موسى وهارون » (٦٢) .

وقد اقترن موسى وهارون - عليهما السلام - في القرآن الكريم عشر مرات ، تسع منها بتقديم ذكر موسى على هارون ، وتقدم ذكر هارون في موضع واحد هو : ﴿ برب هارون و موسى ﴾ (٦٤) ، و ذلك مراعاة للفاصلة (٦٥) .

وأخيرًا فليس من الخطأ في الدين ولا في البلاغة أن نقول : إن القرآن الكريم يهتم بالناحية اللفظية لأنها جزء من أسلوبه ، ولأنها من دواعي التأثير ، ولكن الخطأ أن نقول : إن القرآن يختار الكلمة أو الأسلوب أو العبارة مراعاة لتناسب الفواصل وحده ، ولهذا قال الزمخشري إنه : « لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجردها إلا مع بقاء المعاني على سدادها على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتئامه كما لا يحسن تخير الألفاظ المؤنقة في السمع السلسة على اللسان إلا مع مجيئها منقادة للمعاني الصحيحة المنتظمة ، فأما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده .. فليس من البلاغة في فتيل أو نقير » (٦٦) .

فقد تبين أن ما يعطي التجنيس من الفضيلة أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى ، يقول الجرجاني : « إن المعنى المقتضي اختصاص هذا النحو

بالقبول هو أن المتكلم لم يقد المعنى نحو التجنيس و السجع بل قاده المعنى إليهما وعثره به عليهما حتى إنه لو رام تركهما إلى خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع لدخل من عقوق المعنى وإدخال الوحشة عليه في شبيه بما ينسب إليه المتكلف للتجنس المستكره والسجع النافر » (٦٧) .

وتقول عائشة عبد الرحمن : « فليس من القبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي وإنما الحذف لمقتضى معنوي بلاغي يقويه الأداء اللفظي دون أن يكون الزخرف الشكلي هو الأصل ، ولو كان البيان القرآني يتعلق بمثل هذا ما عدل في رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى : ﴿ فأما اليتيم فلا تقهر • وأما السائل فلا تنهر • وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ [الايات : ٩-١١] ، وليس في السورة كلها ثاء فاصلة بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق (٦٨) .

وقد شذ ابن الأثير عن هذا الإجماع بذهابه إلى أن مراعاة نظم الكلام هي أهم أغراض التقديم والتأخير وهي أبلغ وآكد من الاختصاص (٦٩) .

والذي نراه صائبا هو أن التقديم والتأخير في النظم القرآني يجمع بين الوظيفتين الجمالية والمعنوية على السواء وإلا فما الذي يمنع أن نقول : إن التقديم في ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ وقع لإفادة الاختصاص ولمراعاة نظم الكلام معًا -ولا منافاة بين هذين المطلوبين (٧٠).

فالقرآن العظيم كما جاء في الأثر لا تنقضي عجائبه ولذلك لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة كما يقرر ابن الصائغ (٧١) .

إن مراعاة نظم الكلام تُضيف إلى أغراض التصرف في العبارة بالتقديم

والتأخير بُعدًا آخر يتمثل في مراعاة بعض الممكنات الجمالية في الكلام ، وقد تحولت إلى سبب رئيسي من أسباب التقديم في حديث البلاغيين وعلى رأسهم الزركشي الذي ذكر من بين الأسباب : « أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب فيقدم لمشاكلة الكلام ولرعاية الفاصلة (٧٢) .

فمراعاة الفاصلة تضيف بعدًا جماليًا وفنيًا للعبارة القرآنية ولذلك ، قال الزمخشري : « ولو قال : « نعبدك ونستعينك » لذهبت تلك الطلاوة وزال ذلك الحسن وهذا غير خاف على أحد من الناس فضلاً عن أرباب علم البيان » (٧٢) وبهذا فضلت فصاحة القرآن كل نظم وتقدمت بلاغته بلاغة كل قول ، وحاز المرتبة العليا من مراتب تأليف الكلام من حيث الألفاظ والمعاني والنظم ومطابقة الأحوال المختلفة وحسن التعبير وقوة التأثير .

++++

الهوامش :

(٤٥) التناسب في النظم القرآني : ص/٦٢٢-٦٢٣ .

(٤٦) في بناء الجملة العربية : ص/٤٤٢ .

(٤٧) أو مراعاة النظم - أو مراعاة المناسبة .

(٤٨) انظر : مثلا المطول : ص/٢٠٢ ، شرح التلخيص للبابرتي ص/٢١٨ .

(٤٩) المثل السائر : ٢/٢١٨ .

(٥٠) البرهان : ١/٦٢ ، والإتقان : ٢/٢٩٦ .

(٥١) المثل السائر : ٢/٢١٢ .

(٥٢) البرهان : ١/٦٢ ، والإتقان : ٢/٢٩٦ ، والخواطر الحسان :

ص/٦٤ .

(٥٣) المثل السائر : ٢/٢١٢-٢١٣ .

(٥٤) المطول : ص/٢٠٢ ، وشرح التلخيص للبابرتي : ص/٢١٨ .

(٥٥) الفوائد المشوق : ص/٨٤ ، وانظر : من أسرار اللغة : ص/٢٣٣ .

(٥٦) المثل السائر : ٢/٢١٤ ، وانظر : المعاني في ضوء أساليب القرآن الكريم : ص/٢١٠ .

(٥٧) في بناء الجملة العربية : ص/١٨١-١٨٢ .

(٥٨) المثل السائر : ٢/٢١٧ .

(٥٩) المثل السائر : ٢/٢١٨ .

(٦٠) البرهان : ١/٦٢ .

(٦١-٦٢) الإتقان : ٢/٢٩٦ .

(٦٣) االبرهان : ١/٥٥ .

(٦٤-٦٥) الفاصلة في القرآن الكريم : ص/١١٧ .

(٦٦) قاله الزمخشري في كشافه القديم ، البرهان : ١/٧٢ .

(٦٧) أسرار البلاغة ، الجرجاني : ص/١٤ .

(٦٨) التفسير البياني للقرآن الكريم : ص/٥٧-٥٨ .

(٦٩) انظر : المثل السائر : ٢/٢١٢-٢١٣-٢١٨ .

(٧٠) الفلك الدائر : ٤/٢٤٧-٢٤٨ ، وانظر : مبحث تعدد النكت : ص/٤٠٦ من هذا البحث .

(٧١) الإتقان : ٢/٢٠١ ، وانظر: التناسب في النظم القرآني : ص/٢٧٦ ، والفاصلة في القرآن الكريم : ص/٧٧ .

(٧٢) البرهان : ٢/٢٤٢ .

(٧٣) الكشاف : ١/١٢ ، والمثل السائر : ٢/٢٩ ، وانظر : النكتب : للرماني : ص/٨٧ ، و البلاغة : للمبرد : ص/٩١ ، و إعجاز القرآن ، للباقلاني : ص/٢١٥ .

حكم الشريعة الإسلامية في قضية التبرك والتوسل

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة المكرم الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني . منحنى الله و إياه الفقه في الدين . وأعاذنا جميعًا من طريق المغضوب عليهم والضالّين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد !

فقد وصلني كتابكم وصلكم الله بحبل الهدى والتوفيق ، وجميع ما شرحتم كان معلومًا .

وقد وقع في كتابكم أمور تحتاج إلى كشف وإيضاح ، وإزالة ما قد وقع لكم من الشبهة ، عملاً بقول النبي الكريم -ﷺ- : « الدين النصيحة » ، وقوله -ﷺ- : « من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله » ، وغيرهما من الأحاديث الكثيرة في هذا الباب .

وقد أرشد إلى ذلك مولانا سبحانه في قوله -عزوجل- : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة • وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

فأقول : ذكرتم في كتابكم ما نصه : « ومع احترامي وتقديري لجهودكم في هذا السبيل خطر ببالي بعض الملاحظات ، أحببت أن أبديها لكم راجيًا أن يكون فيها خير الإسلام والمسلمين ، والاعتصام بحبل الله المتين في سبيل تقارب المسلمين ، و وحدة صفوفهم في مجال العقيدة والشريعة .

أولاً : لاحظتكم تعبرون دائمًا عن بعض ما شاع بين المسلمين من التبرك بآثار النبي الكريم -ﷺ- ، وبعض الأولياء كمسح الجدران ، والأبواب في الحرم النبوي الشريف وغيره شركًا وعبادة لغير الله ، وكذلك طلب الحاجات منه ومنهم ، ودعاؤهم وما إلى ذلك ، إني أقول : هناك فرق بين ذلك ، فطلب الحاجات من النبي ومن الأولياء ، باعتبارهم يقضون الحاجات من دون الله أو مع الله ، فهذا شرك جلي لا شك فيه ، لكن

الأعمال الشائعة بين المسلمين ، والتي لا ينهاهم عنها العلماء في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، من غير فرق بين مذهب وآخر ، ليست هي في جوهرها طلبًا للحاجات من النبي والأولياء ، ولا اتخاذهم أربابًا من دون الله ، بل مردّ ذلك كله « لو استثنينا عمل بعض الجهال من العوام » إلى أحد أمرين : التبرك والتوسل بالنبي وآثاره ، أو بغيره من المقربين إلى الله -عزوجل- .

أما التبرك بآثار النبي من غير طلب الحاجة منه ، ولادعائه ، فمنشؤه الحب والشوق الأكيد ، رجاء أن يعطيهم الله الخير ، بالتقرب إلى نبيه ، وإظهار المحبة له ، وكذلك بآثار غيره من المقربين عند الله .

وإني لا أجد مسلماً يعتقد أن الباب والجدار يقضيان الحاجات ، ولا أن النبي أو الولي يقضيها ، بل لا يرجو بذلك إلا الله ، إكرامًا لنبيه ، أو لأحد من أوليائه ، أن يفيض الله عليه من بركاته ، والتبرك بآثار النبي كما تعلمون ويعلمه كل من اطلع على سيرة النبي -ﷺ- ، كان معمولاً به في عهد النبي ، فكانوا يتبركون بماء وضوئه ، وثوبه وطعامه وشرابه وشعره ، وكل شئ منه ، ولم ينههم النبي عنه ، ولعلكم تقولون : أجل كان هذا ، وهو معمول به الآن بالنسبة إلى الأحياء من الأولياء والأتقياء لكنه خاص بالأحياء ، دون الأموات لعدم وجود دليل على جوازه إلا في حال الحياة بالذات فأقول : هناك بعض الآثار تدل على أن الصحابة قد تبركوا بآثار النبي بعد مماته ، فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما - أنه كان يمسح منبر النبي تبركًا به .

وهناك شواهد على أنهم كانوا يحتفظون بشعر النبي ، كما كان الخلفاء العباسيون ومن بعدهم العثمانيون ، يحتفظون بثوب النبي تبركًا به ، ولا سيما في الحروب ، ولم يمنعهم أحد من العلماء الكبار والفقهاء المعترف بفقههم ودينهم [انتهى المقصود من كلامكم] .

والجواب أن يقال : ما ذكرتهم فيه تفصيل :

فأما التبرك بما مسّ جسده - عليه الصلاة والسلام - من وضوء أو عرق أو شعر ونحو ذلك ، فهذا أمر معروف وجائز عند الصحابة - رضي الله عنهم - ، وأتباعهم بإحسان ، لما في ذلك من الخير والبركة ، وهذا

أقرهم النبي -ﷺ-.

فأما التمسح بالأبواب والجدران والشبابيك ونحوها في المسجد الحرام أو المسجد النبوي، فبدعة لا أصل لها، والواجب تركها لأن العبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما أقره الشرع لقول النبي -ﷺ-: « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق على صحته .. وفي رواية لمسلم، وعلقها البخاري رحمه الله في صحيحه جازمًا بها: « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ».

وفي صحيح مسلم عن جابر - رضي الله عنه -، قال كان النبي -ﷺ- يقول في خطبته يوم الجمعة: أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد -ﷺ-، وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلاله » والأحاديث في ذلك كثيرة .. فالواجب على المسلمين التقيد في ذلك بما شرعه الله كاستلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني.

ولهذا صح عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال لما قبل الحجر الأسود: « إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولو لا أني رأيت النبي -ﷺ- يقبلك ما قبلتك ».

وبذلك يعلم أن استلام بقية أركان الكعبة، وبقية الجدران والأعمدة غير مشروع، لأن النبي -ﷺ- لم يفعله، ولم يرشد إليه، ولأن ذلك من وسائل الشرك، وهكذا الجدران والأعمدة والشبابيك وجدران الحجرة النبوية من باب أولى، لأن النبي -ﷺ- لم يشرع ذلك ولم يرشد إليه ولم يفعله أصحابه - رضي الله تعالى عنهم -.

وأما ما نقل عن ابن عمر - رضي الله عنهما - من تتبع آثار النبي -ﷺ- واستلامه المنبر فهذا اجتهاد منه - رضي الله عنه -، لم يوافقه عليه أبوه ولا غيره من أصحاب النبي -ﷺ-، وهم أعلم منه بهذا الأمر، وعلمهم موافق لما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، وقد قطع عمر - رضي الله عنه - الشجرة التي بويع تحتها النبي -ﷺ- في الحديبية، لما بلغه أن بعض الناس يذهبون إليها ويصلون عندها خوفًا من الفتنة بها، وسدًا للذريعة.

وأما دعاء الأنبياء والأولياء والاستغاثة بهم والنذر لهم ونحو ذلك

فهو الشرك الأكبر وهو الذي كان يفعله كفار قريش، مع أصنامهم وأوثانهم، وهكذا بقية المشركين يقصدون بذلك أنها تشفع لهم عند الله، وتقربهم إليه زلفى، ولم يعتقدوا أنها هي التي تقضى حاجاتهم وتشفى مرضاهم وتنصرهم على عدوهم، كما بين الله سبحانه ذلك عنهم في قوله سبحانه: ﴿ ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم • ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ فرد عليهم سبحانه بقوله: ﴿ قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾.

وقال -عزوجل- في سورة الزمر: ﴿ فاعبد الله مخلصًا له الدين ألا لله الدين الخالص • والذين اتخذوا من دونه أولياء • ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى • إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون • إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ فأبان سبحانه في هذه الآية الكريمة: أن الكفار لم يقصدوا من آلهتهم أنهم يشفون مرضاهم، أو يقضون حوائجهم وإنما أرادوا منهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، فأكذبهم سبحانه ورد عليهم قولهم بقوله سبحانه: ﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ فسماهم كذبة وكفارًا بهذا الأمر.

فالواجب على مثلكم تدبر هذا المقام واعطاؤه ما يستحق من العناية، ويدل على كفرهم أيضًا بهذا الاعتقاد، قوله سبحانه: ﴿ ومن يدع من دون الله إلهًا آخر لا برهان له به • فإنما حسابه عند ربه • إنه لا يفلح الكافرون ﴾ فسماهم في هذه الآية كفارًا وحكم عليهم بذلك لمجرد الدعاء لغير الله من الأنبياء والملائكة والجن وغيرهم.

ويدل على ذلك أيضًا قوله سبحانه في سورة فاطر: ﴿ ذلكم الله ربكم له الملك • والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير • إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم • ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴾ فحكم سبحانه بهذه الآية على أن دعاء المشركين لغير الله، من الأنبياء والأولياء، أو الملائكة أو الجن، أو الأصنام أو غير ذلك بأنه شرك، والآيات في هذا المعنى لمن تدبر كتاب الله كثيرة.

وننقل لك هنا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -

في الفتاوى : ص/١٥٧ ، ج/١ ما نصه : « والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان : قوم نوح ، وقوم إبراهيم ، فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صوروا تماثيلهم ، ثم عبدوهم ، وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر وكل من هؤلاء يعبدون الجن ، فإن الشياطين قد تخاطبهم ، وتعينهم على أشياء ، وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة ، وإن كانوا في الحقيقة إنما يعبدون الجن ، فإن الجن هم الذين يعينونهم ، ويرضون بشركهم ، قال الله تعالى : ﴿ ويوم يحشرهم جميعًا ثم يقول للملائكة • أ هؤلاء إياكم كانوا يعبدون • قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم • بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون ﴾ .

والملائكة لا تعينهم على الشر ، لا في المحيا ولا في الممات ، ولا يرضون بذلك ، و لكن الشياطين قد تعينهم و تتصور لهم في صور الآدميين ، فيرونهم بأعينهم ويقول أحدهم : أنا إبراهيم أنا المسيح ، أنا محمد أنا الخضر أنا أبو بكر أنا عمر ، أنا عثمان أنا علي ، أنا الشيخ فلان ، وقد يقول بعضهم عن بعض هذا هو النبي فلان ، أو هذا هو الخضر ، ويكون أولئك كلهم جنًا ، يشهد بعضهم لبعض ، والجن كالإنس ، فمنهم الكافر ، ومنهم الفاسق ، ومنهم العابد الجاهل ، فمنهم من يحب شيخًا فيتزيّ في صورته ويقول : أنا فلان ، ويكون ذلك في برية ومكان قفر ، فيطعم ذلك الشخص طعامًا ويسقيه شرابًا أو يدله على الطريق أو يخبره ببعض الأمور الواقعة الغائبة ، فيظن ذلك الرجل ، أن نفس الشيخ الميت أو الحي ، فعل ذلك،وقد يقول : هذا سر الشيخ وهذه رقيقته ، وهذه حقيقته ، أو هذا ملك جاء على صورته ، وإنما يكون ذلك جنيًا ، فإن الملائكة لا تعين على الشرك والإفك ، والإثم والعدوان ، وقد قال الله تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً • أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب • ويرجون رحمته ويخافون عذابه • إن عذاب ربك كان محذورًا ﴾ قال طائفة من السلف ، كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء كالعزير والمسيح، فبين الله تعالى أن الملائكة والأنبياء عباد الله ، كما أن الذين يعبدونهم

عباد الله ، وبين أنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ويتقربون إليه كما يفعل سائر عباده الصالحين .

والمشركون من هؤلاء قد يقولون : إنا نستشفع بهم ، أي نطلب من الملائكة والأنبياء أن يشفعوا ، فإذا أتينا قبر أحدهم طلبنا منه أن يشفع لنا فإذا صورنا تمثاله - والتماثيل إما مجسدة وإما تماثيل مصورة كما يصورها النصارى في كنائسهم - قالوا : فمقصودنا بهذه التماثيل تذكر أصحابها ، وسيرهم ، ونحن نخاطب هذه التماثيل ومقصودنا خطاب أصحابها ليشفعوا لنا إلى الله ، فيقول أحدهم : يا سيدي فلان ، أو يا سيدي جرجس أو بطرس ، أو ياستي الحنونة مريم أو يا سيدي الخليل أو موسى بن عمران أو غير ذلك اشفع لي إلى ربك .

وقد يخاطبون الميت عند قبره : سل لي ربك ، أو يخاطبون الحي وهو غائب كما يخاطبونه لو كان حاضرًا حيًا وينشدون قصائد بقول أحدهم فيها : يا سيدي فلان أنا في حبك أنا في جوارك اشفع لي إلى الله، سل الله لنا أن ينصرنا على عدونا ، سل الله أن يكشف عنا هذه الشدة أشكو إليك كذا وكذا فسل الله أن يكشف هذه الكربة ، أو يقول أحدهم : سل الله أن يغفر لي .

ومنهم من يتأول قوله تعالى : ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك • فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابًا رحيمًا ﴾ ويقولون : إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنا بمنزلة الذين طلبوا الاستغفار من الصحابة ، ويخالفون بذلك الإجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، وسائر المسلمين ، فإن أحدًا منهم لم يطلب من النبي -ﷺ- بعد موته أن يشفع له ، ولا سأله شيئًا ، ولا ذكر ذلك أحد من أئمة المسلمين في كتبهم وإنما ذكر ذلك من ذكره من متأخري الفقهاء ، وحكوا حكاية مكذوبة على مالك - رضي الله عنه - ، سيأتي ذكرها ، وبسط الكلام عليها - إن شاء الله تعالى - .

فهذه الأنواع من خطاب الملائكة والأنبياء والصالحين بعد موتهم عند قبورهم وفي مغيبهم ، وخطاب تماثيلهم ، هو من أعظم أنواع الشرك الموجود في المشركين ، من غير أهل الكتاب ، وفي مبتدعة أهل الكتاب

والمسلمين الذين أحدثوا من الشرك والعبادات ما لم يأذن به الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾ إلى آخر ما ذكره رحمه الله في رسالته الجليلة المسماة (القاعدة الجليلة في التوسل والوسيلة) قد أوضح فيها أنواع الشرك فراجعها إن شئت .

وقال أيضًا - رحمه الله - في رسالته إلى أتباع الشيخ عدي بن مسافر: ص/٢١ ما نصه : فصل : وكذلك الغلو في بعض المشايخ إما في الشيخ عدي ، ويونس القنى أو الحلاج وغيرهم ، بل الغلو في علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ونحوهم ، بل الغلو في المسيح - عليه السلام - ونحوه ، فكل من غلا في حي أوفى رجل صالح كمثل علي - رضي الله عنه - أو عدي أو نحوه ، أوفى من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر أو يونس القني ونحوهم ، وجعل فيه نوعًا من الألوهية مثل أن يقول : كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده ، أو يقول : إذا ذبح شاة ، باسم سيدي ، أو يعبده بالسجود له ، أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول : يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو اغثني أو أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي أو أنا في حسبك أو نحو هذه الأقوال والأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى ، فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل ، فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلهًا آخر .

والذين كانوا يدعون مع الله آلهة أخرى مثل الشمس والقمر والكواكب والعزير والمسيح والملائكة واللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ويغوث ويعوق ونسرًا ، وغير ذلك لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق أو أنها تنزل المطر أو أنها تنبت النبات وإنما كانوا يعبدون الأنبياء والملائكة والكواكب والجن والتماثيل المصورة لهؤلاء ، أو يعبدون قبورهم ، ويقولون : إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ، ويقولون هم شفاؤنا عند الله .

فأرسل الله رسله تنهى أن يدعى أحد من دونه لإدعاء عبادة ولا دعاء استغاثة ، قال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتهم من دونه فلا يملكون

كشف الضر عنكم ولا تحويلاً أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب • ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورًا ﴾ .

قال طائفة من السلف : كان أقوام يدعون المسيح وعزيرًا والملائكة ، فقال الله لهم : هؤلاء الذين تدعونهم يتقربون إلي ، كما تتقربون ويرجون رحمتي كما ترجون رحمتي ويخافون عذابي كما تخافون عذابي .

وقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض • وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير • ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ﴾ فأخبر سبحانه ، أنما يُدعى من دون الله ليس له مثقال ذرة في الملك ولا شرك في الملك وأنه ليس له في الخلق عون يستعين به وأنه لا تنفع الشفاعة عنده إلا بإذنه ﴾ ، إلى أن قال - رحمه الله - : « وعبادة الله وحده هي أصل الدين ، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب ، فقال تعالى : ﴿ وأسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا • أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ وقال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ .

وكان النبي -ﷺ- يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال : «أجعلتني لله ندًا بل ما شاء الله وحده » وقال : « لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن ما شاء الله ثم ما شاء محمد » ونهى عن الحلف بغير الله تعالى ، فقال : « من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت » وقال : « من حلف بغير الله فقد أشرك » وقال : « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله » .

ولهذا اتفق العلماء على أنه ليس لأحد أن يحلف بمخلوق كالكعبة

ونحوها ، ونهي النبي -ﷺ- عن السجود له ، ولما سجد بعض أصحابه له نهى عن ذلك وقال : « لا يصلح السجود إلا لله » وقال : « لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » وقال لمعاذ بن جبل - رضي الله عنه - : « أرأيت لو مررت بقبري أكنت ساجدًا له » قال : لا ، قال : فلا تسجد لي و نهي النبي -ﷺ- عن اتخاذ القبور مساجد ، وقال في مرض موته : « لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » إلى أن قال - رحمه الله - : « ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء المسجد على القبور ولا تشرع الصلاة عند القبور ، بل كثير من العلماء يقول : الصلاة عندها باطلة » .

إلى أن قال - رحمه الله تعالى - : « وذلك إن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كانت تعظيم القبور، بالعبادة ونحوها ، قال الله تعالى في كتابه : ﴿ وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودًا ولا سواعًا ولا يغوث ويعوق ونسرًا ﴾ قال طائفة من السلف : كانت هذه الأسماء لقوم صالحين فلما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم وعبدوها .

ولهذا اتفق العلماء على أن من سلم على النبي -ﷺ- عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها ، انتهى المقصود من كلامه - رحمه الله - .

وقال العلامة ابن القيم - رحمه الله - في الجواب الكافي : ص/١٥٦ ما نصه : « فصل : ويتبع هذا الشرك الشرك به سبحانه في الأفعال والأقوال والإرادات والنيات فالشرك في الأفعال كالسجود لغيره والطواف بغير بيته وحلق الرأس عبودية وخضوعًا لغيره وتقبيل الأحجار غير الحجر الأسود الذي هو يمين الله في الأرض وتقبيل القبور واستلامها والسجود لها وقد لعن النبي -ﷺ- من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى لله فيها ، فكيف بمن اتخذ القبور أوثانًا يعبدها من دون الله ، ففي الصحيحن عنه -ﷺ- أنه قال : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفي الصحيح عنه : « إن من

أشرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد » وفي الصحيح أيضًا عنه : « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك » .

وفي مسند الإمام أحمد - رضي الله عنه - وصحيح ابن حبان عنه -ﷺ- قال : « لعن الله زوّارات القبور و المتخذين عليها المساجد والسرج » وقال : « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، وقال : « إن من كان قبلكم كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » فهذا حال من سجد لله في مسجد على قبر فكيف حال من سجد للقبر نفسه ، وقد قال النبي -ﷺ- : « اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد » انتهى كلامه - رحمه الله - .

وبما ذكرنا في صدر هذا الجواب ، وبما نقلناه عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وتلميذه العلامة ابن القيم - رحمه الله - يتضح لكم ولغيركم من القراء أن ما يفعله الجهال من الشيعة وغيرهم ، عند القبور من دعاء أهلها والاستغاثة بهم والنذر لهم والسجود لهم وتقبيل القبور طلبًا لشفاعتهم أو نفعهم لمن قبلها ، كل ذلك من الشرك الأكبر لكونه عبادة لهم والعبادة حق الله وحده كما قال الله سبحانه : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا ﴾ وقال سبحانه : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ﴾ . [الآية]

وقال -عزوجل- : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي سبق بعضها .

أما تقبيل الجدران ، أو الشبابيك أو غيرها ، واعتقاد أن ذلك عبادة لله ، لا من أجل التقرب بذلك إلى المخلوق ، فإن ذلك يسمى بدعة لكونه تقربًا لم يشرعه الله فدخل في عموم قول النبي -ﷺ- : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ » وفي قوله -ﷺ- : « إياكم ومحدثات

الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » .

وأما تقبيل الحجر الأسود ، واستلامه واستلام الركن اليماني فكل ذلك عبادة لله وحده واقتداء بالنبي -ﷺ- لكونه فعل ذلك في حجة الوداع وقال : « خذوا عني مناسككم » وقد قال الله -عزوجل- : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ . [الآية]

وأما التبرك بشعره -ﷺ- وعرقه و وضونه ، فلا حرج في ذلك كما تقدم لأنه - عليه الصلاة والسلام - أقر الصحابة عليه ولما جعل الله فيه من البركة ، وهي من الله سبحانه ، وهكذا ما جعل الله في ماء زمزم من البركة حيث قال -ﷺ- عن زمزم : إنها مباركة وإنها طعام طعم وشفاء سقم .

والواجب على المسلمين الاتباع والتقيد بالشرع ، والحذر من البدع القولية والعملية ، ولهذا لم يتبرك الصحابة - رضي الله عنهم - بشعر الصديق - رضي الله عنه - ، أو عرقه أو وضونه ولا بشعر عمر أو عثمان أو علي أو عرقهم أو وضونهم .. ولا بعرق غيرهم من الصحابة ، وشعره و وضونه ، لعلمهم بأن هذا أمر خاص بالنبي -ﷺ- ولا يقاس عليه غيره في ذلك ، وقد قال الله -عزوجل- : ﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه • وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا • ذلك الفوز العظيم ﴾ ، وقال كثير من الصحابة - رضي الله عنهم - : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » .

وأما توسل عمر - رضي الله عنه - والصحابة بدعاء العباس في الاستسقاء وهكذا توسل معاوية - رضي الله عنه - في الاستسقاء بدعاء يزيد بن الأسود فذلك لا بأس به لأنه توسل بدعائهما وشفاعتهما ولا حرج في ذلك ، ولهذا يجوز للمسلم أن يقول لأخيه : ادع الله لي وذلك دليل من عمل عمر والصحابة - رضي الله عنهم - ومعاوية - رضي الله عنه - على أنه لا يتوسل بالنبي -ﷺ- في الاستسقاء ولا غيره بعد وفاته -ﷺ- ولو

كان ذلك جائزًا لما عدل عمر الفاروق والصحابة - رضي الله عنهم - عن التوسل به -ﷺ- إلى التوسل بدعاء العباس ولما عدل معاوية - رضي الله عنه - عن التوسل به -ﷺ- إلى التوسل بيزيد بن الأسود وهذا شيء واضح بحمد الله .

وإنما يكون التوسل بالإيمان به -ﷺ- ومحبته والسير على منهاجه وتحكيم شريعته وطاعة أوامره ، وترك نواهيه ، هذا هو التوسل الشرعي به -ﷺ- بإجماع أهل السنة والجماعة وهو المراد بقول الله سبحانه : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ .

وبما ذكرنا يعلم أن التوسل بجاهه -ﷺ- أو بذاته من البدع التي أحدثها الناس ولو كان ذلك خيرًا لسبقنا إليه أصحاب النبي -ﷺ- لأنهم أعلم الناس بدينه وبحقه -ﷺ-و - رضي الله عنهم - .

وأما توسل الأعمى به -ﷺ- إلى الله سبحانه في رد بصره إليه فذلك توسل بدعائه وشفاعته حال حياته -ﷺ- ، ولهذا شفع له النبي -ﷺ- ودعا له .

والله المسئول بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يمنحني وإياكم وسائر إخواننا الفقه في دينه والثبات عليه وأن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان وأن يمنحهم الفقه في الدين وأن يولى عليهم خيارهم ويصلح قادتهم وأن يوفق جميع حكام المسلمين للفقه في الدين والحكم بشريعة الله سبحانه والتحاكم إليها وإلزام الشعوب بها والحذر مما يخالفها عملاً بقول الله -عزوجل- : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم • ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجًا مما قضيت ويسلموا تسليمًا ﴾ وبقوله سبحانه : ﴿ أ فحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون ﴾ إنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه .

++++

مؤتمر غويانا التبشيري

يقلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويعر
رئيس تحرير مجلة « البحوث الإسلامية » - الرياض

أعداء دين الله ، يرتكبون في سبيل الإضرار بالإسلام ، وإضعاف مكانته ، والاهتمام بتحويل الناس عنه ، طرقًا شتّى هي جزء من عقيدتهم ، التي حرصوا عليها ، تصديًا وتنفيرًا من محمد -ﷺ- ودعوته ، كما أخبر الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٢٠] ، ويقول سبحانه عن رغبتهم في إعادة محمد -ﷺ- وأصحابه إلى الكفر مرة أخرى : ﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارًا ، حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ١٠٩] .

ولذا نراهم في أعمالهم ومكرهم ، ينتهجون طرقًا عديدة في أسلوب غزوهم الإسلام وأهله ، رغبة منهم في الوصول إلى عمق الإسلام ، ومركز دعامته ، سواء في قلوب المسلمين ، أو في ديارهم .

ولقد جرى حديث منذ خمسة عشر عامًا ، مع عالم وداعية في إحدى دول الخليج ، و بعمقه وبعد نظره أعطاني فكرة عن أساليب تبشيرية مقصود منها : تخطيطًا ومتابعة الإسلام والمسلمين في جزيرة العرب بدولها المتعددة ، بعد أن توهّموا نجاحهم في الهند ودول إفريقية ، وقال يجب التظافر لإفشال مخططاتهم ، وهم جبناء يهزمهم المسلم الصادق ، والمسلمة الحريصة على تطبيق شعائر دينها ، ولذا فإن الدول المحيطة تعتبر خطر دفاع أولاً ، بعد توهمهم سقوط خطر الدفاع الثاني ، مخافة أن يصل هجومهم للمملكة قلب الإسلام النابض ، ومهد الأماكن المقدسة التي

هي حلمهم .

إذًا من مخططاتهم - والكلام لمحمدثي - تخفيف مكانة الأماكن المقدسة من قلوب المسلمين ، وكأنهم بهذا العمل ، يستحثون الإسراع لوقت ذي السويقة ، الذي أخبر عنه -ﷺ- بأنه سيأتي في آخر الزمان ليهدم الكعبة ، نصر الله دينه ، وأبعد زمان ذي السويقة عنا ، فإنه من علامات الساعة الكبيرة التي أخبر بها -ﷺ- ، ومنها الدابة ، ويأجوج ومأجوج ، وطلوع الشمس من مغربها ، وكثرة الهرج والفتن ، حيث لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، في زمن لا يقال ، الله الله ، نسأل الله السلامة والعافية .

ومؤتمر غويانا التبشيري ، الذي لا ريب أن لليهود فيه دورًا كبيرًا لعداوتهم الشديدة للإسلام ، كما أخبر الله عنهم القرآن فيه .

هذا الاجتماع حضره منصرون من كل مكان ، وضم إليه مندوبين عن كنائس نصرانية عالمية ، وقد حرصوا فيه بأن يكون سرّيًا ، وشكلت فيه خمس فرق عمل لتنفيذ التوصيات ، وأغدقت الأموال لدعم حملات التنصير بين المسلمين في العالم ، وأدخلوا علم النفس لأول مرة في مخاطبة العقول ، لكي يباعدوا جهلة المسلمين عن دينهم ، ويتخذوا منهم معاول لهدم الإسلام ، بلبلة في الفكر ، وإغداقًا بالمال ، وإغراء بالمكانة الاجتماعية ، وتغييرًا في الثقافة ، وذلك بتحسين النصرانية ، وبإبراز صور محببة ، وتبغيض الإسلام ، وإبراز سلبيات وأعمال من لم يلتزم تعاليم الإسلام على أنها صور إسلامية ، ومعلوم أن فاقد الشيء لا يعطيه ، والجاهل والعاصي لا ينبئ عن حقيقة الإسلام .

وقد خرج هذا التجمع التبشيري المهم المنعقد في يوليو عام ١٩٩١م

بتوصيات كثيرة ، تقع في ١٧/صفحة ، يحسن بكل مسلم أن يدركها جيدًا، وأن يستعين على هذا الفهم بالعلماء والعارفين للملل والنحل ، عقيدة وتشريعًا ، و تطبيقًا و تاريخًا ، و لقادتها فكرًا ، و أسلوب محاورة ومراوغة ، لأنهم تجاهلوا : أن الذنب لا يغفرها إلا الله ، وأن العبد يجب أن تكون علاقته بالله .

فقد طرحوا في خطتهم هذه للتبشير بالإنجيل بين المسلمين مبادئ وأساليب وأهدافًا ، تختلف تمامًا عما كانوا يسيرون فيه من قبل ، وهذا من التغيير الاستراتيجي ، بما يسمونه نقلة جديدة في النفاذ بين المسلمين ، وقد ضمنوا عملهم أكثر من مائتي مادة ، لن نستطيع المرور عليها كلها، ولكن سنقتطف من تلك التوصيات ما يفصح عن رأيهم ومكرهم ، فمثلاً من تركيزاتهم في المبادئ العامة :

= تجنب مهاجمة الإسلام ، أو التحدث بنقد عن محمد ، وذلك في محاولة لفهم الإسلام ، بأن تضع نفسك مكان الشخص المسلم ، لأن هدفنا يجب استقطابه لعيسى الذي يستطيع أن يرضى قلبه .

= إن محاولة بيان عيوب دين الإسلام الذي تحدثه عنه ، يستعديه عليك ، كما يجب ألا تنتقد صلاة المسلمين ولا تقل : إن الله لا يهتم بالطريقة التي يسجدون بأجسامهم فيها ، وإن الله أكثر اهتمامًا بالقلوب الخاشعة المرهفة ، ولا تقل : إن كان محمد نبيًا حقًا ، فلماذا تزوج بعدد كبير من الزوجات .

= وعن العقيدة قالوا : في أعماق كل مسلم هناك خوف من الله ، وهذه هي أقوى نقطة لصالحنا نحن النصارى ، فهو يعرف عيوبه ، ونقاط ضعفه ، وهنا يستطيع النصراني باستخدام هذا الخوف كأساس لمخاطبة ضمير

المسلم ، التحدث عن موقف المؤمن بالمسيح الذي يعرف الله ، على أنه أباه السماوي بلا خوف .

= ثم نراهم يستغلون نقطة أخرى يزعمون أنها تقوى شبهاتهم في التنصير ، فيأتي من توصياتهم القول : بأن المسلم يعاني من إحساس عميق بالفشل في الوصول إلى الذي يريده الله منه ، وهو يعلم أنه ارتكب خطأ ويطمع في المغفرة بفضل رحمة الله ، فالرغبة في غفران الذنوب مستقرة في أعماق قلب المسلم ، وليكن هذا في بالك ، أي المنصر وأنت تبحث مع المسلم ، ولذا فإن الخطّائين بحاجة إلى منقذ ، والنصارى لديهم رسالة لتحقيق هذه الحاجة ، وتأكد أنه يفهم الغفران الكامل من خلال المسيح .

= وهكذا يستمر هذا التجمع في وضع أساليبه الجديدة في محاولة لبلبلة أفكار المسلمين ، ثم تنصيرهم : رجالاً ونساءً بدءً بالأطفال عارضين شبهات يتخيلونها مرضية عند المسلمين ، ومركزين على ما يتوهمون به أسلوبًا جديدًا في النفاذ لأعماق بعض المسلمين ، ممن ينقصهم الفهم الحقيقي للإسلام ، والتطبيق العملي لشعائر دينهم .

= ولذا نراهم في آخر ابتكار لهم ضد الإسلام ، بعد أن نفدت أهم أساليبهم التنصيرية ، يهتمون كما جاء في هذه الوصايا بأمور ، أهمها :

١- نفي رسالة محمد -ﷺ- .

٢- نسبتهم للأنبياء أنهم لم يؤمنوا بمحمد كنبي من أنبياء الله .

٣- أنهم لم يخضعوا للقرآن على اعتبار أنه إرادة الله .

٤- وأن البركات لا توجد إلا في المسيح مثل : غفران الذنوب ، الملاذ ، الهداية ، الحفظ ، السلام ، والنجاة من الشيطان ونفوذه .

٥- أن المسيح كما يقولون : هو ملاذهم ، وقد كرروا هذا في وصايا هذا

التجمع عدة مرات .

وإن مثل هذه الأوهام في وصاياهم لمما ينبغي إعادة توضيحه لكل مسلم ، وفقًا لما في سور عديدة من القرآن الكريم كما قال سبحانه : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ، أ أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ﴾ [سورة المائدة - الآيتان : ١١٦-١١٧] ، وغير هذا من آيات كثيرات توضح كذبهم وضلالهم ، ليقف كل مسلم منهم موقف المفند لأباطيلهم ، ولا يكون بعضهم جاهلاً بأمور دينه ، مثل النصارى فيضلون كما ضلوا ، ولا من المتعامين عن الحق فيكون من المغضوب عليهم كما عمل اليهود ، ممن أوضح الله حالهم في سورة الفاتحة ، التي لا تصح صلاة المسلم بدونها - كما جاء في الحديث الصحيح - .

والرد على النصارى لم يكن جديدًا ، حيث أبان الله في كتابه الكريم زيفهم وضلالهم ، وجاءت آيات في آل عمران للمباهلة معهم بعد أن عاند نصارى نجران وكذبوا ، وبطون الكتب ملأى بالرد عليهم قديمًا وحديثًا ، سواء في المقارنات بين الملل والنحل ، أو في توضيح مخالفاتهم وتغييرهم شرع الله وأحكامه ، أو في تفسير ما عرض له القرآن الكريم من فضح لشبهاتهم وكذبهم ، أو في حقائق يذكرها من هداه الله للإسلام ، من أبناء ملتهم ففضحوا أقوالهم وتلبيساتهم وتغييرهم في كتبهم كما حدث ممن أسلموا في عهد رسول الله كعدي بن حاتم النصراني ، وكعب الأحبار اليهودي ، أو غير ذلك من أمور كثيرة .

فهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يفند أمورهم وعقائدهم في كتابه القيم : « الجواب الصحيح فيمن بدل دين المسيح » وهذا ابن حزم والشهرستاني في يوضحان جلية الأمر في كتابيهما : « الفصل في الملل و الأهواء والنحل » و « الملل والنحل » ، وهذا الشيخ رحمة الله خليل الرحمن الهندي في كتابه « إظهار الحق » ثم في كتابه : « بشرية المسيح » وفي المناظرة الكبرى بينه وبين الدكتور فندر ، يسلط الضوء على أباطيل وشبهات النصارى ، وكذلك كل من : أحمد بن عبد الصمد الخزرجي في كتابه : « مقامع الصلبان » وابن قيم الجوزية في كتابه : « هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى » والشيخ عبد العزيز بن حمد بن معمر في كتابه : « منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب » وغير هذا من الكتب والمناظرات التي تعد مكتبة كاملة .

فكل ذلك يتضح منه حقيقة ما يتوهمه النصارى ، نتيجة جهلهم وتعصبهم الأعمى ، وطاعتهم بدون رؤية لكبائرهم في الكنيسة ، المبغضين للإسلام ، فيعرف المتابع أن أناجيلهم قد دخلها التحريف والتبديل بما تصف الأهواء ، وأنهم يعيشون في ضلاله عمياء ، ويتخبطون بدون هدى بعد أن عمي البصر والبصيرة ، لأن ما بين أيديهم الآن من أناجيل لا يمثل حقيقة ما جاء به المسيح - عليه الصلاة والسلام - ، بينما القرآن حقيقة لأمراء فيه ، لأن الله حفظه وحماه ، من كيد الكائدين ، وعبث المغرضين الماكرين .

وقد ذكر شيخ الإسلام في كتابه : « الجواب الصحيح » الذي يقع في أربعة أجزاء ، في معرض حديثه عن تفرق النصارى ، وتلاعبهم بالإنجيل : تحريفًا وتغييرًا وإخفاءً ، فقال : وقد اختلف النصارى في عامة ما وقع

فيه الغلط حتى في الصلب ، فمنهم من يقول المصلوب لم يكن المسيح ، بل الشبه كما يقول المسلمون ، ومنهم من يقر بعبوديته وينكرالحلول والاتحاد كالأريوسية ، ومنهم من ينكر الاتحاد ، وإلا أقر بالحلول كالنسطورية .

وأما الشرائع التي هم عليها ، فعلماؤهم يعلمون أن أكثرها ليس عن المسيح - عليه الصلاة والسلام - فالمسيح لم يشرع لهم الصلاة إلى المشرق ، ولا الصيام الخمسين ، ولا جعله في زمن الربيع ، ولا عيد الميلاد ، والفطاس وعيد الصليب ، وغير هذا من أعيادهم ، بل أكثر ذلك مما ابتدعوه بعد الحواريين ، مثل عيد الصليب ، فإنه مما ابتدعته هيلانة الحرانية ، أم قسطنطين ، وفي زمن قسطنطين ، غيروا كثيرًا من دين المسيح ، والعقائد والشرائع ، فابتدعوا الأمانة التي هي عقيدة إيمانهم ، وهي عقيدة لم ينطق بها شئ من كتب الأنبياء التي عندهم ، ولا هي منقولة عن أحد من الأنبياء ، ولا عن أحد من الحواريين ، الذين أصبحوا ملازمين للمسيح ، بل ابتدعها لهم طائفة من أكابرهم قالوا : كانوا ثلاثمائة وثمانية عشر .

أما الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية -رحمه الله تعالى - فقد نقل في الجزء الأول من فتاواه كلامًا مطولاً ، أورده الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله تعالى - في معرض تفسيره لقول الله تعالى : ﴿ ومن الذين قالوا إنا نصارى ﴾ [الآية] ، فصل في ضياع كثير من الإنجيل ، وتحريف كتب النصارى المقدسة ، [الجزء السادس من تفسير المنار من ص/٢٨٩] ومما قاله نجتزئ النقاط التالية :

١- إن الكتب التي يسمونها الأناجيل الأربعة ، تاريخ مختصر للمسيح -

عليه السلام - ، لم يذكر فيها إلا شئ قليل من أقواله وأفعاله ، في أيام معدودة ، بدليل قول يوحنا في آخر إنجيله : هذا هو التلميذ الذي يشهد بهذا ، وكتب هذا ، ونعلم أن الشهادة حق ، وأشياء أخرى كثيرة صنعها يسوع ، إن كتبت واحدة واحدة ، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة .

وحسبنا هذا حجة عليهم في إثبات قوله تعالى : ﴿ فنسوا حظًا مما ذكروا به ﴾ وحجة على بعض علمائنا الذين ظنوا أن كتبهم حفظت وتواترت .

٢- كانت الأناجيل في القرون الأولى للمسيح كثيرة جدًا ، حتى قيل إنها بلغت زهاء سبعين إنجيلا ، وقال بعض مؤرخي الكنيسة : إن الأناجيل الكاذبة ٢٥ إنجيلاً .

٣- بدئ تحريف الأناجيل من القرن الأول ، وبين « بولس » أن الناس كانوا ينتقلون سريعًا إلى دعاة الإنجيل المحرف المحول عن أصله الذي جاء به المسيح .

٤- وفي الفصل الخامس عشر من سفر الأعمال ما يوضح أن اليهود كانوا ينبثون بين المسيحيين ويعلمونهم غير ما يعلمهم رسل المسيح ، وأن المشايخ والرسل ارسلوا برنابا وبولس ، إلى انطاكية ، ليحذروا أهلها من أهلها من هؤلآء المعلمين الكاذبين .

٥- اختلف علماء الكنيسة ، وعلماء التاريخ في الأناجيل الأربعة ، التي اعتمدوها في القرن الرابع : من هم الذين كتبوها ؟ ومتى كتبوها ؟ وبأي لغة كتبت ؟ وكيف فقدت نسخها الأصيلة ؟ كما بان ذلك في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى .

٦- وفي دائرة المعارف البريطانية المجلد الخامس ما نصه : لم يبق من أعمال السيد المسيح شئ ، ولا كلمة واحدة مكتوبة ، وقال الأستاذ ولز : إن السيد المسيح هو واضع نواة المسيحية ، وليس بمنشئها ، وقال أيضًا: إن بعض الكتاب يرى أن السيد المسيح لا تربطه بالمسيحية الحاضرة أية صلة .

٧- في دلالة قول الله تعالى : ﴿ فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء ﴾ ترى مصداق هذا القول الكريم بين فرقهم وبين دولهم ، لم ينقطع زمنًا ما .

٨- إن إنجيل برنابا وهو أصح أناجيلهم يخبر عن محمد -ﷺ- ويدعو للإيمان به وبرسالته مصداقًا لقول الله في سورة الصف على لسان عيسى : « وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقًا لما بين يدي من التوراة ، ومبشرًا برسول يأتي من بعدي اسمه « أحمد ».

٩- قال الأب لامنس ، وفون هامر ، ومن يرون رأيهما من المستشرقين الذين يقطعون بدقة القرآن الذي نتلوه اليوم ، وبأنه يحتوى على كل ما تلاه محمد على أنه الوحي الذي تلقاه عن ربه صادقًا كاملاً .

١٠- فإذا ذهب بعد ذلك قلة من المستشرقين غير مذهبهم ، غير آبهين بالأدلة العلمية التي ساقها موير ، وكثرة المستشرقين ، كان ذلك تجنيًا على الإسلام ، لم يملـه غير الحقد على الإسلام ، وعلى صاحب الرسالة الإسلامية .

١١- وتحتم الرد عليهم بما قاله واحد منهم وهو « أربثنت » : ولقد ظلّ القرآن كما هو حتى اليوم بدون أي تحريف أو تبديل ، لا من المتحمسين له ، ولا من ناقلين إلى اللغات الأخرى ، ولا ممن يتربصون به الدوائر ، وهو موقف لم يقفه مع الأسف أي كتاب من كتب العهد القديم - ويعنون

به التوراة والحديث معًا - ويعنون به الأناجيل - ، وهذه النقول عن أناس منهم هي أبلغ رد عليهم لأنها منهم ، وممن لا يستطيعون إنكار تحليله أو تعاطفهم مع المسلمين ، ولكنها الحقيقة التي ظهرت .

مناظرة بين مسلم ونصراني :

ذكر الخزرجي المتوفي عام ٥٨٢هـ بفاس المغرب في كتابه : « مقامع الصلبان » في الرد على اليهود والنصارى ، نماذج من حواره معهم فقال : ومن أعجب توقح أساقفتكم على الله ، نفيهم معجزات رسوله -ﷺ- ولم يثبتوا شيئًا منها ، ثم استثنوا خبر أم معبد ، وخبر الذئب ، ثم قالوا : لو نقل قومه غير هاتين لنقلناها أيضًا ، وهذا نوع من الوقاحة ، وباب من السفسطة كمثل ما روى عن رجل من المشعوذين ، أنه قام ليلة لضوء القمر ، فتصدع رأسه فقام ورفع عينيه نحو القمر وقال : يا مصدع الرؤوس ، ويا مكرب النفوس ، ويا مقرب الآجال ، ويا قاطع الآمال ، ويا محل الديون ، أية منفعة منك ، أو لأي شئ تصلح .

تالله لا تصلح إلا لإصلاح اليقطين والقثّا ، فلا كان القثّا ولا كان اليقطين .

فأراد هذا المشعوذ ، حين أوجع رأسه القمر ، أن يجحد منافعه المعلومة ، في هذا العالم ، ثم أوجب له منها أضعف ما وجد ليوهم الجاهلين ، أنه لو علم له فضيلة سوى ذلك لذكرها ، وإلى مثل هذا النوع من التوقح والشعوذة ذهب مضلوكم حين أوجع محمد -ﷺ- رؤوسهم بمقمع الحق ، وقد علموا أنه لم يعط الله نبيئًا آية ، إلا أعطى محمدًا -ﷺ- أعجب منها أو مثلها .

ولا محالة أن آية واحدة خارقة للعادة ، تدل على صدق نبوءة من جاءت على يديه ، إذا دعا إلى الله ، إذ وقع الاتفاق ، على أن الله لا يؤيد بها كاذبًا عليه .

أسلوب النظم في الرؤية الإسلامية

بقلم : سعادة الدكتور علي القاضي

لكل مجتمع أهداف يسعى إلى تحقيقها ، ولذلك فإنه يعد الوسائل التي تجعله يصل إلى تحقيق أهدافه .

والنظم : تعبير يقصد به إنشاء المؤسسات التي تكون وسيلة لتحقيق أهداف المجتمع ، ولابد من وجود خلفية ثقافية تضع أسس النظم التي يسير عليها المجتمع ليصل إلى أهدافه .

والخلفية الثقافية في الإسلام :

تؤخذ من القرآن الكريم والسنة النبوية - ولذلك فإن المجتمع الإسلامي يرى أن الكون كله وطن للإنسان - خلقه الله تعالى ليؤدي فيه دور الخلافة - **وفي القرآن الكريم** آيات تبين أن الله تعالى خلق الكون ليستخدمه الإنسان ويستريح إليه - فالأرض لينة كالمهد والجبال أوتاد للأرض تثبتها وتحفظ توازنها من التقلبات الجوفية والتقلصات السطحية - **كما خلق الله تعالى من نفس الإنسان زوجًا .** ليحس بالراحة والسكن والطمأنينة **وجعل النوم يتكفل براحة** للأجسام والأعصاب ليبدأ الإنسان عمله ونشاطه - كما جعل النهار ليكون معاشًا تتم فيه الحركة .

الحضارة الغربية : الخلفية الثقافية للحضارة الغربية تستند إلى الثقافة الاغريقية القديمة **وتقوم على أساس وثنى .**

والأدب اليوناني :

يصور العلاقة بين البشر والآلهة على أنها علاقة صراع وحروب مستمرة - **كما يصور القدر على أنه قوة عمياء** . لا تعفى الآلهة المتجبرين أنفسهم من ضرباتها . **وأصبح في عرف الحضارة الغربية** أن العاجز وحده هو الذي يخضع لمشيئة الله - وبهذا الدافع اللاشعوري يحس أهل الحضارة الغربية بأن كل خطوة يخطوها العلم ترفع درجة الإنسان ، وفي الوقت نفسه تخفض من درجة الآلهة . **ولذلك فإن أسلوب النظم في الحضارة الغربية يقوم على أساس المادة والمصلحة الذاتية** . يقول هايز :

« إن المصلحة الذاتية وحدها - في الحضارة الغربية - هي التي تنشر الصراعات والعدوان » .

ولذلك فإن الكون قد أصبح مجال صراع وعداوة للناس في الحضارة الغربية ، وأصبح هذا سلوك الغربيين على امتداد الزمان والمكان **لكن النظم في الإسلام** تميزت بالنزعة الإنسانية في أجواء الحب والتسامح والتعاون والمساواة أمام الله تعالى وأمام الشريعة الإسلامية ولا أثرَ فيه لاستعلاء عرق على عرق أو فئة على فئة أو جماعة على جماعة .

خصائص النظم الاجتماعية في الإسلام :

لكل مجتمع خصائص تميز أسس النظم الاجتماعية التي يقوم عليها ، وأهم خصائص النظم في الإسلام هي :

الاستقامة :

على منهج الله تعالى دون انحراف فهي لا تتأثر بأهواء البشر ولا

بنزغات الشيطان - وهي استقامة في المعرفة وفي الاتجاهات وفي السلوك وبذلك يكون المسلمون قادرين على أداء وظيفتهم في هذه الحياة وعلى الفوز برضوان الله تعالى فيعيشون في أمن وسلام ويدخلون الجنة بسلام .

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون ﴾ [سورة الأحقاف . الآيتان : ١٣-١٤] .

الإحسان :

والمسلم مطالب بالإحسان في القول والعمل وذلك يشمل محيط الحياة كلها - يشمل علاقة العبد بخالقه وبنفسه وبأسرته وبالجماعة الإسلامية بل وبالجماعات البشرية كلها وبالكون وما فيه :

﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [سورة البقرة . الآية : ١١٢] ويقول : ﴿ و أنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ [سورة البقرة . الآية : ١٩٥] .

العلم الصادق :

وهو العلم الذي ينتفع به الناس والذي يشيع في صاحبه الحكمة فيصبح طبعًا لازمًا له في سلوكه الاجتماعي - وبذلك تتحقق الآمال فيهم . فالعلماء هم ورثة الأنبياء . و لابد أن يكون العلم مقرونًا بالعمل الذي يتلاءم معه - وبهذا يقوم العلم على أساس المبادئ الأخلاقية الإسلامية التي تجعل هدفها تحقيق القيم الإسلامية في كل اتجاهاتها - ذلك لأن العلم في الإسلام يهدف إلى إعداد الإنسان

الصالح الذي يعمر الأرض طبقًا لمنهج الله تعالى ويكتشف ما في الكون من أسرار ليستخدمها في أداء وظيفته . والإسلام يطلب من المسلم دائمًا أن يقول : ﴿وقل رب زدني علماً ﴾ [سورة طه . الآية : ١١٤] .

الجهاد في سبيل الله :

والإسلام يطلب من أبنائه الإعداد الكامل للقوى التي تحفظ الأمن العالمي لأن هدف الجهاد في الإسلام :

١- إنقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يحيط بهم الأذى ولا يستطيعون المقاومة . يقول تعالى : ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليًا واجعل لنا من لدنك نصيرًا﴾ [سورة النساء . الآية : ٧٥].

٢- المحافظة على أماكن العبادة سواء أ كانت يهودية أم نصرانية أم إسلامية . يقول الله تعالى : ﴿ و لو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهـدّمت صوامع و بيع و صلوات و مساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا ﴾ [سورة الحج . الآية : ٤٠] .

٣- فتح الباب أمام من يريد الدخول في الإسلام بدون عقبات توضع - على النحو الذي نراه الآن في أكثر دول العالم ولا إكراه في الدين . ولكن لابد من حماية من يريد الدخول في الإسلام من العصبية الدينية أو الحكم الفردي وغير ذلك ولذلك فإن الأعداء يخيَّرون بين الإسلام أو الجزية أو الحرب .

النظام السياسي :

فالحكومة جزء من المجتمع الإسلامي ومهمتها إدارة النظام في

المجتمع . **والحاكم** : لا يتميز عن غيره من أفراد المجتمع وهو مسئول أمام الناس في الدنيا وأمام الله تعالى في الآخرة والله يعلم ما تخفى الصدور .

الشورى :

والشورى من أسس الحكم وهي ملزمة للحاكم لأن أمر المسلمين شورى بينهم وقد أمر الله تعالى نبيه بالشورى ، فقال : ﴿ **و شاورهم في الأمر** ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩] وطاعة أولى الأمر متعلقة بطاعة الله ورسوله .

والعدالة : أيضًا جزء من النظام السياسي وهو يشمل كل الناس على امتداد الزمان والمكان ولا تفريق بين عدو وصديق لأن الله تعالى سيحاسب على كل ذلك ، وقالها القرآن الكريم واضحة صريحة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيًا أو فقيرًا فالله أولى بهما . فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا . وإن تلوا أو تعرضوا فإن الله** كان بما تعملون خبيرًا ﴾ [سورة النساء ، الآية : ١٣٥] لأن الأخلاق الإسلامية لا صلة لها بالقومية أو الوطنية .

المساواة :

و لابد من المساواة بين الناس جميعًا في كل شئ ولا فرق بين أبيض وأسود ولا بين قوى وضعيف ولا بين شريف وغيره لأن الله تعالى خلق الناس جميعًا من أب واحد وأم واحدة وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا وجعل أكرمهم عند الله تعالى أتقاهم .

الحدود :

وقد حدد الإسلام عقوبات لبعض الجرائم الاجتماعية التي تؤثر تأثيرًا سلبيًا قويًا في أمن المجتمع وأخلاقه وذلك ليحفظ المجتمع من الانحرافات التي تقوض أسسه .

ومع ذلك فإن الشريعة الإسلامية توجب درء الحدود بالشبهات . للشك فـــي ركن من أركان الجريمة أو أركان الشهادة و بذلك لا يقام الحد ، ويكتفي بالتعزير الذي يشمل جرائم غير الحدود وقد يكون بالسجن أو العقوبات البدنية .

النظام الاقتصادي :

الذي يقوم على أساس أن المال أساسًا هو مال الله تعالى وأن الإنسان مستخلف فيه **ولذلك** فإنه مطالب بأن يسير فيه طبقًا لمنهج الله ، سواء في طرق الكسب أم طرق الإنفاق إلى جانب أن **للفقراء** نصيبًا فيه بالزكاة أو الصدقة ، و لابد من إيجاد فرص العمل لكل قادر عليه **وغير القادرين على العمل** يتكفل بهم أقاربهم فإن لم يستطيعوا تكفل بهم بيت مال المسلمين .

النظام الاجتماعي :

الفرد يخاطبه الإسلام مباشرة ويعطيه حقوقًا ويلقى عليه تبعات تبرز كيانه الفردي المستقل وهو متصل بالله تعالى مباشرة ويشعر برعاية الله تعالى له رعاية كاملة ، **والرجل مكلف بالإنتاج** المادي وما ينتج عنه والمرأة **مكلفة بالإنتاج البشري وما يترتب عليه** .

والجماعة يخاطبها الإسلام كذلك - يعطيها حقوقًا ويلقى عليها

تبعات تبرز كيانها وتبرز المجتمع المترابط المعمر للأرض ، **والأسرة** تمثل نبتة لا تعوض بالنسبة للهندسة الاجتماعية بمعناها الدقيق ولبناء شخصية الطفل الاجتماعية والثقافية - ولذلك **أكد الإسلام** على أن يكون **أساس اختيار الزوج والزوجة التقوى** حتى تتحقق للأسرة الراحة والأمن والطمأنينة - فيربى الطفل في جو سليم يجد فيه حاجاته الجسمية والنفسية والعقلية - **وفي محيط الأسرة جعل** الإسلام للأطفال حقوقًا و واجبات محدودة ، وكذلك لكل فرد من أفراد الأسرة - **وحقوق الأبوين** تتضح عند الكبير ، **فالمطلوب طاعتهم في** غير معصية الله **وطاعة الوالدين** تأتي بعد **طاعة الله تعالى** مباشرة حتى و لـو كانا كافرين ، فلا بد من مصاحبتهما بالمعروف ، **و يقول :** ﴿ رب **ارحمهما كما ربياني صغيرًا** ﴾ ولا يقول لهما أف ولا ينهرهما .

والمدرسة : لها دور في تربية الطفل من جميع نواحيه **ولها دور في** إيجاد التوازن في حياة الطفل الفردية والاجتماعية وهي حلقة وسط بين البيئة المنزلية والمجتمع الكبير - وهي تؤثر في سلوك الأفراد والجماعات عن طريق المعرفة النظرية والتقليد والاستهواء والإيحاء وغير ذلك .

والمجتمع : بما فيه من أصدقاء وهيئات وأندية وصحافة وإذاعة وتلفاز له أثره العميق في التربية ، **ولذلك** فلا بد من أن يحاط الاعلام بالضمانات التي تكفل التأثير الإيجابي في النفوس ، ولابد من التناصح بين أفراد المجتمع الإسلامي بحيث تكون النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم ، ولابد من الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر وإشاعة جو المحبة والاطمئنان بكل السبل الممكنة .

إجراءات وقائية :

وقد اتخذ النظم الإسلامية في الإسلام إجراءات وقائية لحماية المجتمع ، فالبيوت لا تدخل إلا بعد الاستئذان والمؤمنون مأمورون بغض البصر وحفظ الفرج ومنع الإثارة ، ثم بألا يسخر أحد من أحد وألا يلمز أحد أحدًا وأن يجتنبوا الظن فإن بعض الظن إثم ، وبألا يتجسس أحد على أحد وبألا يغتاب أحد أحدًا - كما أنه منع الخمر والربا والتطفيف في الكيل والميزان وكل شئ يشيع الفحش في المجتمع ويجعله غير قادر على أداء وظيفته .

وبهذا نلاحظ أن النظم الاجتماعية في الإسلام تناولت الإنسان من جميع نواحيه في تعاليم عليا خالدة - اكتمل فيها توحيد العقيدة وتوحيد الشريعة والسلوك الإنساني .

وبقي أن يهتم المسلمون أنفسهم بالنظم الإسلامية ليعتنقوها اعتناقًا كاملاً ويطبقوها تطبيقًا سليمًا كما فعل أسلافهم من قبل . حينئذ ستكون لهم قيادة هذا العالم الحائر ويسيرون إلى الأمن والعدالة والسعادة المنشودة ، وبذلك يرضون عن أنفسهم ويرضى الله سبحانه وتعالى عنهم في الدنيا والآخرة ، وهذا ما يتمناه كل إنسان على امتداد الزمان والمكان .

ولكن لا يصل إليه إلا من سار على منهج الله تعالى ، وكان هدفه تحقيق النظم الإسلامية في جميع المجالات .

﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها
ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾

دراسات وأبحاث :

الغزو الفكري في حياة المسلمين
منافذ دخوله . و وسائل مقاومته

[الحلقة الأولى]

بقلم : سعادة الدكتور عمر يوسف حمزة
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم التفسير والحديث - جامعة قطر

مقـــدمـــة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وأكرم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تمسك بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين .. وبعد !

فإن الغزو الفكري للعالم الإسلامي حقيقة واقعة تبدت في الماضي ، وتتجلى في الحاضر ، ويخطط لها في المستقبل .

فعشرات الأجهزة : شرقية وغربية ، سرية وعلنية ، حكومية وأهلية ، دينية وإلحادية ، عسكرية ومدنية ، تجمع صفوفها ، وتحشد قواها ، لغزونا من الداخل ، بعد انحسار مرحلة الغزو من الخارج ، ومع أن الغزو الخارجي ليس مستحيلاً - وأفغانستان خير دليل وشاهد - إلا أن الغزو الداخلي أكثر استقرارًا ، وأرسخ دعائمًا وأعتى نفوذًا (١) .

ومن هنا يظهر لنا أن مقاومة الغزو الفكري ليست ترفًا فكريًا ، أو محاربة طواحين هواء ، بل شرط وجود ، وجوهر بقاء .

إن الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام من الموضوعات التي تشد اهتمام الواعين من أبناء الأمة الإسلامية ، وتحتاج من الباحثين

والدارسين إلى أن يبذلوا فيها من الجهد ما يكشف عن خباياها ويوضح أبعادها .

ولقد كان للإسلام في الماضي جولة مع أهل الباطل والضلال وأصحاب الأهواء والمتجبرين في الأرض ، ولقد حقق المسلمون انتصارات كبيرة على جميع أعدائهم ، ومن ثم عادي الإسلام كل ضال وكل ذي هوى ، و وقف في وجه هديه ومنهاجه كل طاغية ، وكل ظالم ، وقامت المعارك ضارية متعددة على مر التاريخ بين الإسلام وهؤلاء الأعداء .

ويخطئ من يظن أن الحرب بين الإسلام وأعدائه قد وضعت أوزارها ، إنما الحق أن أعداء الإسلام يدبرون لحربه كل يوم وسيلة ، ويحشدون للوقوف في وجهه كل يوم قوة ، وليس خطر الكلمة والفكرة بأقل من خطر الجندي والسلاح في المعركة الضاربة التي يشنها أعداء الإسلام على الإسلام وأهله ، فبالإضافة إلى حرب الجنود والسلاح التي شنها أعداء الإسلام عليه ، شنوا حرب التشويه والتخريب للإسلام منهجه وتاريخه ، ورجاله وتراثه ولغته وقرآنه ، وتحالفوا وتآزروا وابتكروا حديث الوسائل وخبيث التيارات والأساليب ، فغزوا المسلمين في قلوبهم وأفكارهم وأخلاقهم وأزيائهم وشنوا على العالم الإسلامي من الغارات ما لا يخفي أمره على كل ذي بصيرة ، و وقفت الصهيونية والتبشير والاستعمار والمبادئ والنظريات والفلسفات يشد بعضها أزر بعض في حرب الإسلام وأهله ، ومن مجموع تلك الوسائل والأساليب كان الغزو الفكري للمسلمين (٢) .

إن الغزو الفكري هو أن تتبنى أمة من الأمم - وبخاصة الأمة الإسلامية

معتقدات وأفكار الأمة الأخرى من الأمم الكبيرة وهي غير إسلامية دائمًا - دون نظر فاحص وتأمل لما يترتب على ذلك التبني من ضياع لحاضر الأمة الإسلامية - في أي قطر من أقطارها - وتبديد لمستقبلها ، فضلاً عما فيه من صرفها عن منهجها وكتابها وسنة رسولها - وما يترتب على ذلك الصرف من ضياع أي ضياع ، إذ لا يوجد مذهب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي يغني الأمة الإسلامية عن منهجها الإلهي ، ونظامها الشامل المتكامل في كل زمان ومكان (٣) .

لا ريب أن من يرى مؤسسات التبشير والاستشراق وما يصدران من شبهات وتحديات يحكم بما لا يدع مجالاً للشك بوجود الغزو الفكري الذي يرمي إلى خلق عقلية جديدة تعتمد على تصورات الفكر الغربي ومقاييسه ، ثم تحاكم الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي من خلالها بهدف سيادة الحضارة الغربية وتسييدها على حضارات الأمم ، ولا سيما الحضارة الإسلامية .

ولقد ذكر المبشرون والمستشرقون أن هدفهم هو خلق أجيال جديدة من العرب والمسلمين تحتقر كل مقومات الحياة الإسلامية بل الشرقية ، وإبعاد العناصر التي تمثل الثقافة الإسلامية عن مراكز التوجيه (٤) .

هذه هي بعض مفاهيم الغزو الفكري ، وتلك هي تياراته المعادية للإسلام فيما يظهر لي ، وسوف أتناول في ثنايا هذا البحث الغزو الفكري من خلال المحاور التالية :

المحور الأول : المنافذ التي يدخل منها الغزو الفكري :

١- الاقتصاد . ٢- التعليم . ٣- الصحة . ٤- السياسة .

٥- وسائل الإعلام .

المحور الثاني : أساليب الغزو الفكري في التشكيك :

١- الطعن في القرآن الكريم . ٢- الطعن في السنة الشريفة .

٣- اعتماد ما جاء في كتب السيرة .

٤- النظريات لبعض الفرق الإسلامية الشاذة .

٥- محاربة الفكر الإسلامي والدعوة إلى فصله عن جذوره وقواعده .

المحور الثالث :

١- العلمانية والحداثة ، اتجاهاتهما الخطيرة في محاربة الإسلام .

٢- الطريق الأنجع في دفع تحركاتهما العدوانية ، و رد نشاطاتهما المتنوعة في المجالات : الفكرية ، والتعليمية ، والإعلامية .

وسوف أخص كل محور من هذه المحاور الثلاثة بشيء من التفصيل وسيكون حديثي عن عناصر هذه المحاور مستندًا إلى الأدلة والبراهين التي تدعم أقوالي ، والله المستعان وهو ولي التوفيق .

المحور الأول : المنافذ التي يدخل منها الغزو الفكري :

١- الاقتصاد . ٢- التعليم . ٣- الصحة .

٤- السياسة . ٥- وسائل الإعلام .

١- أثار الغزو الفكري في الاقتصاد :

يمر المسمون اليوم بفترة من أقسى فترات التحدي الحضاري في تاريخهم الطويل ، ويبلغ هذا التحدي مداه في مجال العلوم والتقنية حيث تخلفت الدول الإسلامية تخلفًا ملحوظًا ، بينما تقدمت المعارف في هذين المجالين تقدمًا مذهلاً خلال القرن الحالي بصفة عامة ، وفي النصف

الأخير منه بصفة خاصة ، مما ميز عصرنا بأنه عصر العلوم والتقنية ، وهذا المجال لم تدخله الدول الإسلامية في معظمها بعد - أو دخلته بعضها بجهود فردية محدودة لا تكاد تساير تقدم العصر في ذلك ، مما تسبب في وجود هوة شاسعة جعلت الدول الإسلامية « في زمرة الدول النامية » واستمرت النهضة العلمية والتقنية التي بدأت في القرن التاسع عشر في نموهـــا و ظهرت الصناعات المتقدمة في السيارات و الطائرات ، والصواريخ ، ورحلات الفضاء ، كما ظهرت أقوى أسلحة الحرب ، وأفضل وسائل الانتقال المدنية ، وتطورت صناعة اللدائن والأنسجة الصناعية ، وتمت ميكنة الزراعة وتحسين المحاصيل عن طريق الأبحاث في كل من علم الوراثة وعلم كيمياء التربة ، وأدخلت المخصبات الزراعية والمبيدات الحشرية كأساليب جديدة في تحسين الزراعة .

وفي غمرة هذا التقدم العلمي والتقني المذهل تخلف العالم الإسلامي تخلفًا شديدًا بعد أن حمل لواء المعرفة العلمية والفكرية والصناعية لعشرة قرون كاملة (من القرن السادس الميلادي إلى مشارف عصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي) (٥) فقد أسقطت الخلافة الإسلامية في سنة ١٩٢٤م ، بعد احتلال مساحات كبيرة من أرض المسلمين ، كما تم تمزيق هذا الجسد الواحد إلى أكثر من خمسين دولة متباينة المساحة وتعداد السكان ، بالإضافة إلى أقليات منتشرة في كل دولة من الدول غير الإسلامية ، تفوق أعدادها مئات الملايين في بعض هذه الدول .

كما أدى تفتيت العالم الإسلامي إلى انقسامه إلى دول متخمة بالثراء إلى حد البطر ، وأخرى معدمة إلى حد الفاقة ، وبسبب انتشار الفقر

أهملت عمليات التنمية البشرية والمادية ، فقد أهمل التعليم ، وبإهماله تفشت الأمية ، وأهملت الرعاية الصحية ، وبذلك تفشت الأمراض وساءت الأحوال الصحية ، كما أهملت التنمية الزراعية والصناعية والاجتماعية ، وبإهمالها تقلص الاقتصاد ، وزادت الديون وغرقت الأمة في الربا ، ولم يعد هناك مجال للأخذ بأسباب التقدم العلمي أو التقني ، ويرجع السبب الرئيسي في فقر الدول الإسلامية إلى هذا التفتيت الذي لم يجعل لأي منها القدرة على القيام بذاتها ، فغالبية الدول المعاصرة لا تمثل كيانات حقيقية نمت من خلال التفاعلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية على المدى التاريخي الطويل كما تنمو الدول عادة ، ولكن في غالبيتها كيانات ، رسمت حدودها الراهنة القوى الاستعمارية العالمية ، وحافظت عليها لتبقى الأمة على هذه الصورة من التفتيت الذي لا يمكن أيًا منها من تشكيل وحدة اجتماعية ، اقتصادية متكاملة أو شبه متكاملة .

ويهدف الحيلولة دون قيام أدنى قدر من التعاون بين الأشقاء ، ودون تحرك المال الإسلامي بين الدول الإسلامية على شكل استثمارات تعين على تنشيط عملية التنمية ، قامت الدول الكبرى بترتيب سلسلة من الانقلابات العسكرية ، والانقلابات المضادة لتحدث جوًا من عدم الاستقرار السياسي والفوضى الاقتصادية ، التي لا تشجع على تحرك أية أموال بينها ، حتى لا تجد فوائض الدول الفنية فيها طريقها إلا إلى خزائن وبنوك الدول الكبرى .

وقد أدى إفقار الدول الإسلامية إلى تفشي الأمية بين البالغين من أبنائها بصورة مزعجة ، تتراوح نسبتها بين ٥٠-٨٠٪ بمتوسط حوالي

٥٨٪ بينما تقل نسبة الأمية في الدول الغنية عن ٢٪ ، ولا تتعدى هذه النسبة ٤٥٪ في المتوسط في دول العالم الثالث مما يعني بوضوح أن أعلى نسبة للأمية بين البالغين في العالم اليوم هي الدول الإسلامية (٦) .

فالتخلف الاقتصادي الذي أحاط بالعالم الإسلامي لا يحتاج إلى جهد في بيان أسبابه الحقيقية في حياة الأمة .

نعم ، لقد كانت هناك أسباب خارجية أسهمت في هذا التخلف ولكنها وحدها - لا تبرره وتفسره .

لقد كانت أوربا الصليبية تسعى - منذ القضاء على الدولة الإسلامية في الأندلس - إلى تطويق العالم الإسلامي ، وإضعافه بكل الوسائل ، وكان من بين الوسائل التي اتخذتها السعي الدائب لتحويل التجارة العالمية إلى أيديهم ، وانتزاعها من يد المماليك ، الذين كانوا يمسكون بزمامها عن طريق سيطرتهم على البحر الأحمر والبحر الأبيض ، فتدر عليهم أموالاً طائلةً ، وعلى العالم الإسلامي كله كذلك .

ومنذ أن اكتشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح ، بمعاونة بحارة من المسلمين وعلى هدى الخرائط الإسلامية ، بدأوا يتجهون إلى الشرق الأقصى ليستولوا على أرضه وخيراته ، وينقلوها على سفنهم عن طريق رأس الرجال الصالح فيحرموا منها دولة المماليك ، ويحرموا منها العالم الإسلامي كله .

وحدث ذلك بالفعل ، وتأثرت اقتصاديات العالم الإسلامي تأثرًا بالغًا بما حدث (٧) .

ولكن ... هل هذا هو التفسير ؟! أو هذا هو التدبير ؟!

أين كانت مراكز القوة يوم قامت الدولة الإسلامية أول مرة ، سواء القوة الحربية أو السياسية أو الاقتصادية ؟ أ لم تكن لها في يد فارس والروم ؟

فما الذي حدث في التاريخ ؟

لقد خرجت الأمة المؤمنة تنشر الإسلام في الأرض فأزالت قوى الباطل ودكتها دكًا ، وأقامت في مكانها دولة الإسلام ، واستولت هي على مراكز القوة فأصبحت أكبر قوة في الأرض ، وشملت قوتها كل جانب ، فصارت في يدها القوة الحربية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وكان ذلك كله تحقيقًا لوعد الله للمؤمنين من هذه الأمة في قوله الكريم : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم • وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم • وليبدّلنّهم من بعد خوفهم أمنًا • يعبدونني لا يشركون بي شيئًا ﴾ (٨) .

فما الذي غير الحال بعد ذلك ، وسلب مراكز القوة من يد المسلمين ؟

ربما يقال ضعفت قوتهم الحربية بينما ازدادت قوة أعدائهم فتغلبوا عليهم ، فنقول : نعم ، تلك هي الأسباب الظاهرة ، ولا شك ، ولكن قراءة التاريخ بالأسباب الظاهرة وحدها لا تؤدي إلى الحقيقة ، بل قد تضلل عن الحقيقة .. يقول الله تعالى : ﴿ إن الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيّروا ما بأنفسهم ﴾ (٩) ، ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيّرًا نعمةً أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ﴾ (١٠) .

والذي يشغل النفوس المؤمنة هو الإيمان .. والذي يتغير في النفوس هو حقيقة الإيمان .

فحين تكون الأمة « متقدمة » في الإيمان ، يتحقق لها وعد الله بالاستخلاف والتمكين والتأمين ، وحين تكون « متخلفة » يحدث تغيير النعمة ، (أي سلبها) ويذهب عن الأمة الاستخلاف والتمكين والتأمين .

فسلب التجارة من يد المسلمين ، واستيلاء أوربا الصليبية ، عليها ، له أسبابه الكامنة في التخلف العقيدي الذي أصاب الأمة في مجموعها ، والتقلص والضمور الذي ترتب عليه في كل اتجاه .

فتضاؤل القوة الحربية الذي مكن الأعداء من أجزاء متزايدة من العالم الإسلامي هو ذاته ، أثر من آثار التخلف العقيدي .

ولكن آثار التخلف العقيدي في الميدان الاقتصادي الخاص لا تحتاج إلى تأكيد .

وإذا سلمنا بأن التجارة الخارجية قد سلبت من أيدي المسلمين لسبب قاهر لا يقدرون على رده ، فهل تتوقف ثروة العالم الإسلامي على التجارة وحدها في ذلك الحين أو في أي حين ؟

إنّ بلاد المسلمين من أقصاها إلى أقصاها هي - بقدر من الله - أغنى بقعة في الأرض ، وأكثرها خيرات ، وقد كانت - وما تزال حتى هذه اللحظة - لم تستثمر الاستثمار الكامل ، الذي يستغل كل مواردها .

والسبب في عدم استغلال هذه الثروات هو التقاعس ، والتواكل ، والضعف العلمي ، و وهن العزائم ، والانصراف عن عمارة الأرض ، والرضى بالفقر على أنه من قدر الله لا ينبغي السعي إلى تغييره خوفًا من الوقوع في خطيئة التمرد على قدر الله تعالى .

إنّ الأمة غير الإسلامية يمكن أن تنال القوة والتمكين في الأرض

بالبعد عن الله ، بل كلما زادت بعدًا عن الله زادت في القوة والتمكين .. كما هو حال أوربا الكافرة الجاحدة اليوم ، لأن هذا من السنن الربانية في معاملة الكفار : قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء ﴾ (١١) .

لفترة من الزمن يقدرها الله .. ثم يأتي التدمير :

﴿ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مبلسون • فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين ﴾ (١٢) .

أما أمة الإسلام فإنها تعامل بسنة خاصة .. لا يُمكنون إلا على الإيمان ، فإذا انحرفوا زال عنهم التمكين ، ذلك لأن الله لا يريد لهم أن يفتنوا بالتمكين وهم منحرفون عن طريقه ، فيزيدوا انحرافًا حتى يصلوا إلى الكفر فتأخذهم سنة الكافرين : قال تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفّ إليهم أعمالهم فيها • وهم فيها لا يبخسون • أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار • وحبط ما صنعوا فيها • وباطل ما كانوا يعملون ﴾ (١٢) .

فمن رحمته سبحانه بهذه الأمة أنه لا يمكنها أبدًا وهي منحرفة عن السبيل لكي تعود إليه ، فيمكنها وهو راض عنها ، ويدخر لها في الآخرة ما يدخره لعباده الصالحين (١٤) .

وإذا كان من أهداف الغزو الفكري ، صرف المسلمين عن دينهم ، وعن قرآنهم ، وليكونوا بعد ذلك ما يكونون ، فإذا عجزوا عن تنصيرهم كما كانوا يشتهون ويخططون في البدء .

فينبغي على الأقل أن ينتزعوا من قلوبهم ذلك الشيء المرهوب ، الذي

يزعجهم ويفزعهم حتى وهو كامن في قلب « الرجل المريض » كما صرح أحد الكتاب في كتاب « الغارة على العالم الإسلامي » حيث قال : « إن أوربا كانت تفزع من « الرجل المريض » لأن وراءه ثلاثمائة مليون من المسلمين على استعداد للجهاد بإشارة من أصبعه (١٥) .

وإذا كان المراد بالغزو الفكري الوسائل غير العسكرية التي اتخذها الغزو الصليبي لإزالة مظاهر الحياة الإسلامية ، وصرف المسلمين عن التمسك بالإسلام ، مما يتعلق بالعقيدة ، وما يتصل بها من أفكار وتقاليد وأنماط سلوك .

ولكن هذا لا ينبغي أن يخفي عنا مجموعة من الحقائق في هذا الشأن :

الأولى : أن الباعث الصليبي كان الباعث الأول الذي حرك أوربا إلى الاستيلاء على العالم الإسلامي كما هو ثابت من رحلتي فاسكو داجاما ، وماجلان ، والرحلات « الاستكشافية » الأخرى - في إفريقيا خاصة - التي حملت المبشرين بكميات هائلة إلى أماكن لم يكن الاستغلال الاقتصادي فيها محدد المعالم أول الأمر ، وإن كان قد حدث على نطاق واسع فيما بعد ، حين اكتشف المحتلون مصادر الثروة وأخذوا في استغلالها .

الثانية : أن التحرك الاقتصادي الأول من أوربا نحو الشرق كان هدفه الأول حرمان المسلمين من مصادر قوتهم لإضعافهم ، وهو هدف صليبي واضح تتخذ له جميع الوسائل ، وما الوسيلة الاقتصادية إلا واحدة من هذه الوسائل فحسب ، وليست هي الغاية كما يزعمون ، ويزعم معهم المستعبدون لهم من المثقفين ، خاصة الذين يرددون في غير تفكيـــر ،

القول : بأن الغرب لا يريد إلا تأمين مصالحه الاقتصادية فحسب ، ولا يهمه شئ غير ذلك .

الثالثة : أنه حين برز العامل الاقتصادي في حياة أوربا فيما بعد ، وأصبح - في ظاهر الأمر - هو المحرك الأول لجميع تصرفاتها ، بقي هناك فارق واضح بين « الاستعمار الاقتصادي » في بلاد الإسلام ، والاستعمار الاقتصادي في البلاد غير الإسلامية التي استولوا عليها في مرحلة التوسع وتكوين الإمبراطوريات (١٦) .

فمع أن الاستعمار في جميع أحواله ظالم للبلاد المحتلة المستغلة ، أناني النزعة ، لا يهمه إلا تحقيق مصالحه الخاصة على حساب أهل البلاد الأصليين ، مع ذلك كله فإنه - في البلاد غير الإسلامية لا يتعرض لعقائد الناس وأفكارهم وتقاليدهم بشئ من العنف على الإطلاق ، مكتفيًا بما يتسرب إلى حياتهم تدريجيًا من التأثير الناشئ من رغبة المغلوب في تقليد الغالب ، أما في البلاد الإسلامية فقد كانت هناك دائمًا تدبيرات وترتيبات يقصد بها قصدًا إلى إزالة مظاهر الحياة الإسلامية ، ومحاولة سحق الإسلام في نفوس المسلمين بالعنف ، أو صرفهم عنه صرفًا خبيثًا ماكرًا بوسائل أخرى غير العنف .

وكان من أول هذه التدبيرات والترتيبات في كل بلد إسلامي وقع في قبضتهم تنحية الشريعة الإسلامية عن الحكم و وضع القوانين الوضعية بدلاً منها ، وهو أمر لا علاقة له من قريب ، ولا بعيد « بالمصالح الاقتصادية » التي يزعم الغرب ويزعم معه أتباعه المستعبدون له أنها الهدف الأول والأخير من استيلائهم على العالم الإسلامي .

ومن هذا يتبين أن الدافع الصليبي كان موجودًا مع الغزو الأوربي لبلاد الإسلام ، سواء كان يعمل منفردًا كما كان منطلقه الأول ، أو ممتزجًا بالدافع الاقتصادي كما حدث فيما بعد ، ولكنه في جميع أحواله حاد النزعة لا يهدأ ولا يسكن ، بل ازدادت حدته في القرن الأخير خاصة مع بروز حركات البعث الإسلامي (١٧) . [يتبع]

الحواشي والهوامش :

(١) وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي : ص/٧ ، د/حسان محمد حسان سلسلة دعوة الحق ، العدد/٥ السنة الأولى - شعبان ١٤٠١هـ .

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠١هـ-١٩٨١م : ص/٥ بتصرف ، بحث أعده الدكتور علي عبد الحليم .

(٣) انظر : المصدر السابق : ص/٩ .

(٤) شبهات التقريب في غزو الفكر الإسلامي : ص/١٢ ، أنور الجندي ، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م المكتب الإسلامي .

(٥) قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر ، د/زغلول راغب النجار : ص/٢٢ ، كتاب الأمة ، الطبعة الأولى صفر ١٤٠٩هـ .

(٦) انظر : المصدر السابق : ص/٢٦ .

(٧) واقعنا المعاصر : ص/١٧٩ فما بعدها ، الأستاذ محمد قطب ، الناشر، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م .

(٨) سورة النور ، الآية : ٥٥ . (٩) سورة الرعد ، الآية : ١١ .

(١٠) سورة الأنفال ، الآية : ٥٣ . (١١) سورة الأنعام ، الآية : ٤٤ .

(١٢) سورة الأنعام ، الآيتان : ٤٤-٤٥ . (١٣) سورة هود ، الآيتان : ١٥-١٦ .

(١٤) واقعنا المعاصر : ص/١٨٢ . (١٥) انظر : الغارة على العالم الإسلامي ، تلخيص : محي الدين الخطيب ، مساعد اليافي ، مكتبة أسامة بن زيد ، بيروت .

(١٦) واقعنا المعاصر : ص/١٩٤ . (١٧) المصدر السابق : ص/١٩٥ .

فضل حق بن فضل إمام الخيرآبادي (+)

(١٢١٢-١٢٧٨هـ - ١٧٩٧-١٨٦١م)

[الحلقة الأولى]

بقلم : سعادة الدكتور رضوان علي الندوي - كراتشي

هو العلامة فضل حق (١) بن فضل إمام ، الخيرآبادي ، من ذرية سيدنا عمر بن الخطاب ، ومن ثم يكتب نسبته العمري أو الفاروقي أيضًا ، وهو أحد العلماء المشاهير في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي .

ولد في قرية خيرآباد بمديرية سيتا فور في الإقليم الشمالي بالهند سنة ١٢١٢هـ-١٧٩٧م في بيت علم وفضل ، فكان والده الشيخ فضل إمام أحد كبار المؤلفين (٢) في المنطق والفلسفة ، ودرس فضل حق جميع العلوم على والده إلا علم الحديث ، فقد درسه على العالم الشهير عبد القادر بن الشيخ ولي الله الدهلوي .

وكان فضل حق يتمتع بذكاء خارق وجودة الحفظ ، حتى حفظ القرآن الكريم في أربعة أشهر فقط ، وانتهى من تحصيل العلوم في شبابه المبكر ونبغ في العلوم العقلية من منطق وفلسفة مثل والده إضافة إلى اللغة وقرض الشعر بالعربية ، ويزيد شعره على قول صاحب نزهة الخواطر

(+) من كتاب للباحث بعنوان : « اللغة العربية وآدابها في شبه القارة الهندية الباكستانية عبر القرون » سينشر في باكستان عما قريب .

على أربعة آلاف بيت ، وقال عنه صديق حسن خان القنوجي العالم المحدث اللغوي الشهير : « إمام وقته في العلوم الحكمية والفلسفة بلامدافع » (٣) كذلك قال صاحب نزهة الخواطر : « فاق أهل زمانه في الخلاف والجدل والحكمة واللغة (٤) » ولم يكن فضل حق من العلماء المتزمتين ، بل كان يتجمل في ملبسه ، ويتمتع باللهو البريء مثل الشطرنج وسماع الغناء .

وكما كان والده موظفا في الدولة الإنجليزية بدلهي ، فكذلك توظف عندهم فضل حق في ديوان الإنشاء بدلهي ، ثم انقلب عليهم عند قيام الثورة الهندية سنة ١٨٥٧م ، وشارك في الجهاد ضدهم مع قائد الثورة الأمير جوان بخت بن السلطان سراج الدين بهادر شاه ظفر ، وأصدر الفتوى للجهاد ضدهم ، ولذلك قبض عليه الإنجليز بعد إخفاق هذه الثورة ببضعة أشهر ، ونفوه إلى جزيرة أنديمان الموبوءة في خليج البنغال جنوبي ميناء كلكتا الشهير ، حيث توفي بعد بضع سنوات .

وللشيخ فضل حق مؤلفات عديدة في علوم المنطق والفلسفة والكلام والتصوف ، ومنها ما هو مطبوع وآخر مخطوط ، وأشهرها على الإطلاق ، « الحكمة السعيدية » في الفلسفة اليونانية ، وهو منسوب إلى الأمير محمد سعيد خان حاكم إمارة رامفور الإسلامية ، الشهيرة بمكتبها الحاوية على المخطوطات العربية والفارسية النادرة ، ويظهر من مؤلفاته أنه كان فيلسوفًا مفكرًا بحق ، فله رسالة في تحقيق الأجسام وأخرى في تحقيق الكلي الطبيعي وأخرى في تحقيق العلم والمعلوم وغيرها .

ثم إنه سجل حوادث الثورة الهندية ١٨٥٧م في رسالته ، ولها قيمة كبرى ، فإنه كان كما قلنا أحد المشاركين فيها ، كما أن له بعض القصائد

في هذه الثورة .

ومعظم إنتاجه باللغة العربية ، وأما ما يتعلق بالأدب والشعر ، فإنه يتلخص في القصائد في مدح الرسول -ﷺ- وبعض الأمراء في عصره ، ثم القصائد السياسية الآنفة الذكر ، ومن المؤسف أن دواوين شعره غير مطبوعة ، وهي :

١- ديوان القصائد العربية ، من نسخة في مكتبة رضا بمدينة رامفور ، أترابراديش الهند برقم/٣٢٨ - ورقم/٣٢٩ .

٢- مجموعة بعض رسائله وقصائده ، وهي في حوزة الطبيب نصيرالدين بكراتشي .

وكان قد غلب عليه أسلوب الحريري من النثر المسجوع المقفى ، كما سيطر عليه حب المحسنات البديعية من الجناس والطباق وغيرها كل السيطرة في نثره ونظمه ، وأصاب السيد صديق حسن خان القنوجي في وصفه :

« وله نظم رائق ، وشعر فائق لو لا أنه أكثر فيه من التجنيس الذي ينبو عنه السماع وتأباه الطباع » (٥) .

ونقول : إنه كان يتلاعب بالألفاظ تلاعبا ، يثقل به كلامه بحيث تفقد به عباراته الجمال المطلوب ، وتضيع المعاني في الألفاظ الموزونة المجنسة ، فانظر إلى رسالة له يعزى بها أحد أصدقائه على وفاة والده :

« أما بعد ، فإن الدنيا دار غرور ماله قرور ، بل قرورها سرور ، وظلها حرور ، لا يوازي همومها سرورها ، ولا يوازن خيورها شرورها ، ولا تتكافأ معافاتها وآفاتها ، ولا تتآذى أفراحها وأتراحها ، ولا محنها

وراحتها ، ولا يتلافى سمومها نعيمها ، ولا سمومها نسيمها ، ولا ضنكها رخاءها ولا زعزعها رخاءها ، ترياقها ثمال ، ونقصانها كمال ، عاقبة عافيتها أوصاب ، وحلويها وسلويّها حلاقم أوضاب ، أولها حبور ، وآخرها ثبور ، وصفاؤها غبار ، وبقاؤها عبور ، وأهلها بور وقصورهم قبور ، وكل من غمر فيها مرموس ، وكل ما عمر فيها مطموس ، وكل من الورى وإن ترى فإن مصيره إلى الثرى ، مباديها آمال ومنى ، وعواقبها آجال ومني .. » (٦) .

ورسالة العزاء هذه في أربع صفحات ، وكلها في هذا الأسلوب المسجوع الكريه ، المحبوب في زمانه لفساد الذوق وحب الصنعة والتكلف ، حتى في مثل هذه المناسبة الأليمة ، وفاة والد صديق عزيز ، والسبب في ذلك أنهم اتخذوا نثر الحريري في المقامات مثلهم الأعلى في الكتابة ، وغابت عنهم النماذج الأصيلة الجميلة من نثر الجاحظ ، وأبي حنيفة الدينوري ، وابن قتيبة والمبرد وغيرهم من أدباء العصر العباسي الكبار المرموقين ، وهكذا شعره حشد فيه الزخارف اللفظية ، وصبغه بالمحسنات البديعية التي طغت على جمال المعنى وحسن التعبير ، بل حولت كلامه أحيانًا إلى شبه ألغاز أو معجم ألفاظ ، فمن شعره :

أتى من تباشير الصباح بشيـــــــر
ببشر بشير بالصبوح يُشيـــــــر
شفى نسما أشفت عليل نسيمـــــه
فلم يبق إلا في الجفون فتـــــور

و نورت الخضراء نورًا و زهـــرة
و زهر الجوارى تختفى و تنـــور

و من قوله :

هل من مبلغ عن ولهان مشتـــــاق
عنا و عني في أطواق أتـــــواق
مسلسل الدمع يروى عنه مسنـــدة
و صدقا ، أحاديث أشواق بأســـواق
من لا يرى الإثم في نكث اليمين و مـن
يمين في كل ميعاد و ميثـــــاق
عدل القوام يظن الظلم معدلـــــة
و يرتجى الأجل في تقتيـــل عشاق

و لا نريد أن نطيله ، فله بعض قصائد أخرى تعبر عن عواطف وأحاسيس صادقة ، في كلماتها رنة الموسيقي ، والخيال الفياض ، فاستمع إلى قوله :

يا سائلا عن شأنه ، يغنيـــك عن تبيانه
دمع جرى في شأنـــه همـلا ، وفرط أنانه
ماذا تسائل نازعا ، قاصي المواطن نازحا
عنهـــا إليها نازعا ، يشكو أسى توقانه
فهـواه في هيمانه ، وجواه في وهجانه
والطرف في همعانه ، والقلب في خفقانه

إن شام برقا وامضا ، أهراق دمعًا فائضًا

فـأذاع سرًا غامضًا ، قد جد في كتمانه

واستمع إليه أيضًا واستمتع بموسيقي الكلمات عنده :

فالسحر منه بطرفه ، والخمر منه بكفه

والسكر منه بعطفه النشوان في ميسانه

سرق الجمال من النقا، فالقد من قضبانه

والردف من كثبانه ، والطرف من غزلانه

يبدو كبدر سافـــر يرنو كظبى نافر

يمشى كغض ناضر، يهتـز في كثبانه (٧)

ومن مدحه للرسول -ﷺ- في قصيدته الدالية :

حمى الصناديد مأوى الناس مفزعهم

إذ يفزعون لأهوال الصناديـــد

هو الشهيد عليهم ، و الشفيـــع لهم

في هول يوم شديد الهم مشهـــود

إن زاد آدم قدرًا عند مـــولده

فكم أب يعتلى قـــدرا بمولود

فاق النبيين طرًافي الكمال و في الـ

ـجمال والعز و الإجمـال و السود

فلا يدانيه موسى فـي العروج و لا

في اليمن عيسى و في الملك ابن داؤد

ولا ابن يعقوب حسنا، والخليل قرى

و نوح عزمًا،لدى نصح و تهديـد

أهدى إليك مديحًا ، كله غـــرر

و نيل نولك بالتقصيـــد مقصودي

عليك أزكى صـــلاة الله ما مدحت

في مورق البـــان ورقاء تغريد (٨)

وأحسن قصائده وأطولها قصيدته الميمية الشهيرة وأولها :

فؤادي هائم و الدمع هـــــام

و سهدي دائم ، و الجفـــن دام (٩)

وعلى الرغم أنها مكبلة بقيود الصنعة من الجناس والطباق وغريب الألفاظ ، فإنها تتضمن معاني وعواطف نبيلة في مدح خير البرية .

والجدير بالذكر هنا أن معظم قصائده في مدح الرسول -ﷺ- .

وله بعض المراثى نظمها عند موت أحد أصدقائه ، وهي من أرق قصائده وأروعها لأنه لم يتقيد فيه بإتيان المحسنات البديعية من جناس وطباق ومراعاة النظير وغيرها ، وهو حرّ طليق فيها ، فيقول في إحدى هذه المراثى :

علا زفيري و دمع العين ينحـــدر

و بلّني الدمع ، و الأحشاء تستعـــر

مالي أواري أواري (١٠) و هو مستعر

بين الحشا و هل النيران تستتـــر

مالي أرى النيل لا ينجاب ظلمتـــه

كأنما ضل فيها الشمس و القمـــر

كأن ليلى يوم الفصل متصـــل

فما له دونه صبح و لا سحـــر (١١)

ويقول في مرثية له أخرى :

أيا ما لليلي لا تنير نجومـــــــه
و ما لصباحي لا يهب نسيمـــــــه
و ما بال طرفي لا يلذ بنومـــــــة
وقد طال جدا سهده وسجومـــــــه
و ما لمهادي لا يلائم أضلعـــــــي
كأن به جمرا تلظى أجيمـــــــه (١٢)

فهذا شعر طبيعي جميل ، فيه صدق العاطفة ، وبديع الخيال ، وروعة التعبير ، ومن المؤسف أن مثل هذا العالم الجليل والشاعر القدير الذي درس عليه المئات وتتلمذ عليه الأمراء ، وحرص على صحبته السلاطين ، وكان أعظم وأحب شخصية في عاصمة الهند ، يموت وحيدًا في منفاه سنة ١٨٦١م (١٢) .

[يتبع]

++++

الهوامش :

(١) هذا هو الصواب في اسمه ، واسمه في المراجع مثل معجم المطبوعات لسركيس والأعلام للزركلي : ٢٢٢/٧ ، ومعجم المؤلفين لكحالة : ٩٩/١١ محمد

فضل الحق .

(٢) ومن مؤلفاته الشهيرة المطبوعة المتداولة في المنطق ، المرقاة ، وانظر ترجمته ومؤلفاته في نزهة الخواطر : ١٧٤/٧ .

(٣) أبجد العلوم : ٢٤٥/٢ (الطبعة الجديدة) وانتقده في عقائده ، والاختلاف المذهبي بينهما مشهور .

(٤) نزهة الخواطر : ٢٧٥/٧ .

(٥) أبجد العلوم : ج/٢ .

(٦) انظر هذه الرسالة بأكملها في آثار الصناديد للسرسيد أحمد خان ص/٥٦٤-٥٦٨ (طبعة دلهي المحققة ١٩٦٥م) وفي رياض الفردوس لمحمد حسين الشاهجهانفوري : ١٦٨/١٦ .

(٧) مجموعة فضل حق الخيرآبادي المخطوطة : ص/١٠١ نقلاً عن حركة التأليف باللغة العربية .. : ص/٢٠١ .

(٨) آثار الصناديد لسيد أحمد خان : ص/٥٧٠ ، وانظر القصيدة بأكملها فيه : ص/٥٦٨-٥٧١ .

(٩) وانظر هذه القصيدة كاملة في ملاحق كتابنا هذا .

(١٠) أوارى الثانية : النار والأول بمعنى أخفى .

(١١-١٢) من مجموعة قصائده المخطوطة السابقة الذكر : ص/١١٩ و ١٨١ وأوردها الدكتور جميل أحمد في كتابه السابق الذكر : ص/٢٠٥-٢٠٦ .

(١٢) ترجمته في آثار الصناديد بالأردية لسيد أحمد خان : ص/٥٦٢ -٥٧٥ ، ونزهة الخواطر : ٢٧٤/٧-٢٧٥ ، وأبجد العلوم : ٢٤٥/٢ ، وأعلام الزركلي : ٢٢٢/٧ ، وكحالة : ١٩٩/١١-١٢٠ ، وزبيد أحمد الآداب العربية في الهند : ص/٤٥١ ، وسركيس : ص/٨٥٢ ، وحركة التأليف باللغة العربية : ص/١٩٢ للدكتور جميل أحمد : ص/٢٠٦ ، وفيه شعر كثير له ، وفي اللغة الأردية عدد من الكتب عن حياته وأعماله .

المفقه الإسلامي

الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي

[الحلقة الثانية]

بقلم : أ. د. محمد الدسوقي
أستاذ ورئيس قسم الفقه والأصول . كلية الشريعة - جامعة قطر

التنمية الاقتصادية :

شاع استخدام مصطلح التنمية الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية، وقد حاول علماء الاقتصاد تحديد مفهوم لهذا المصطلح فلم يتفقوا على مفهوم واحد له وتعددت الآراء إلى الحد الذي يمكن أن يقال فيه: أن هناك من التعاريف للتنمية الاقتصادية بقدر ما هنالك من مؤلفين يعالجون هذا الموضوع[٣٠] .

يذهب أحد رجال الاقتصاد في تعريف التنمية الاقتصادية إلى أنها عملية تفاعلية يزداد خلالها الدخل القومي الحقيقي خلال فترة معينة بنسبة تربو على الزيادة السكانية مما ينتج عنه زيادة في دخل الفرد في المتوسط[٣١] .

وهناك من يرى أن التنمية الاقتصادية تعني بالإضافة إلى زيادة الدخل الفردي التوسع في الاقتصاد القومي لدرجة يسمح بموجبها بامتصاص المزيد من القوى العاملة وكذلك بتقديم مختلف الخدمات الاجتماعية، وإعداد القوة التي تكفل للدولة قدرة الدفاع عن نفسها أمام أعدائها.

ومن الباحثين من يرفض هذه المفاهيم للتنمية، لأنها لا تخرج عن نطاق المادة أو المال وزيادته، وتهمل العنصر البشري الذي هو المصدر الحقيقي للتنمية فالتغيير المادي مهما يكن حجمه لا جدوى منه ما لم يصاحبه أو يسبقه تغيير جوهري للإنسان من النواحي الجسمية والعقلية والنفسية.

وهؤلاء الباحثون يذهبون إلى أن علماء الاقتصاد التقليديين ليسوا أهلاً لقيادة التنمية الاقتصادية، وإنما الذي ينبغي أن يتولاها هم علماء الدين والنفس، والاجتماع والطب، ويفرق هؤلاء بين مصطلح النمو الاقتصادي والتنمية الاقتصادية، فالأول يراد به زيادة الدخل، على حين أن الثاني يشمل النمو المادي والمعنوي معاً، ويؤكد أن تنمية

٣٠ - انظر النفقات العامة في الإسلام للدكتور يوسف إبراهيم يوسف ص ٢٢٩، ط. دار الثقافة بالدوحة، والتنمية الاقتصادية للدكتور كامل بكري ص ٦٣، ط. الدار الجامعية، بيروت.

٣١ - انظر النفقات العامة في الإسلام ص ٢٢٩، مرجع سبق ذكره.

الإنسان هي الأساس للتنمية بمفهومها الصحيح والشامل.

فمفهوم التنمية الاقتصادية - إذن - يعني إحداث تغيير شامل يصيب الإنسان، كما يصيب موارد المجتمع المادية، وينعكس هذا التغيير على مستوى الدخل القومي الذي يزيد بنسبة أكبر من نسبة الزيادة السكانية حتى تتحقق الرفاهية، أو يرتفع مستوى المعيشة[٣٢]

الإسلام والتنمية الاقتصادية :

ومادام مفهوم التنمية على هذا النحو من الشمول والاهتمام بالدرجة الأولى بالإنسان صانع التنمية فإن الإسلام بتشريعاته وآدابه قد دعا إلى التنمية الاقتصادية، وجعلها من صميم رسالة الإنسان في الحياة، ففي القرآن الكريم (هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها)[٣٣] .

والاستعمار من الله طلب العمارة، وهذا الطلب للوجوب، فلا تدل قرينة على صرفه عن غيره، فالتعمير والتنمية واجب على المسلمين كل بحسب طاقته وما يسر الله له من الأعمال، فمن قصر أو أهمل ولم يسهم بدوره في البناء والرخاء فهو آثم، لأنه خالف ما أوجب الله عليه.

إن الأمر في الآية بعمارة الأرض يشمل كل ألوان التعمير بالزراعة والغراس والأبنية ودراسة التربة وعوامل الطبيعة المسخرة للإنسان والاستفادة منها، بل يشمل أيضاً دراسة الشمس والقمر والليل والنهار، وكل ما يهيئ للبشر أقوم السبل لعمارة الأرض، ونشر الخير وإشاعة الرخاء.

إن الإسلام دين القوة بمفهومها الشامل، ولهذا يحارب الضعف أياً كان لونه ويحذر من الفقر، بل قد سوى بينه وبين الكفر، تنفيراً منه، ومن مأثور الكلام «كاد الفقر أن يكون كفراً»، كما جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه كان يدعو ربه بهذا الدعاء : اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»[٣٤] .

٣٢ - انظر محاضرات في الاقتصاد الإسلامي للدكتور يوسف إبراهيم يوسف، ص ٥٩، مخطوط تحت يدي.

٣٣ - الآية : ٦١ في سورة هود.

٣٤ - رواه أبو داود.

ومن ثم كان العمل في الإسلام عبادة والكسل منكراً ومعصية.

والإسلام مع دعوته إلى عمارة الأرض، وحضه على السعي والعمل قد غير من نظرة الإنسان إلى المال، حتى لا تستعبده الشهوات، ولا يتخذ أنعم الله سبيلاً للعصيان والكفران، ويظل المال وسيلة للحياة، وليس غاية في ذاته.

وجملة القول أن الإسلام بما جاء به قد أحدث في الحياة الإنسانية تغييراً شاملاً تغييراً للإنسان، ومفاهيمه وقيمه وطرق معاشه، وقد ارتدّ هذا على المستوى العام للدخل بالنمو والازدهار، فالإسلام - إذن - بتشريعاته كلها يقود إلى تحقيق التنمية الاقتصادية كما يتطلع إليها علماء الإقتصاد، أي التنمية التي تشمل الإنسان والموارد المادية.

الإمام الشافعي والتنمية الاقتصادية :

تعرض الإمام الشافعي للتنمية الاقتصادية في إطار المفهوم الإسلامي لها، وذلك في كثير من المسائل التي اشتمل عليها كتاب الأم، وأهم هذه المسائل ما يلي :

١ - الدعوة إلى العمل.

٢ - الزكاة.

٣ - ما لا يجوز تملكه من الأموال.

٤ - الحمى.

٥ - الاقطاع وإحياء الموات.

أولاً : الدعوة إلى العمل :

يشير الشافعي في أكثر من موضع من الأم إلى وجوب أن يكون ما يحصل عليه الإنسان من ماله عن طريق حلال، ويحذر من أن يكون في هذا المال شبهة ما، ومن ذلك مثلاً أنه يحرم الرشوة أو أن يدفع المرء مالاً ولو كان في صورة هدية لينال من وراء هذا حقاً له: لأن كل من تولى ولاية مهما يكن مستواها فهو مطالب بالقيام بما يجب عليه دون انتظار لمكافأة أو إحسان، فإن أخذ على ما قام به شيئاً فهو سحت، وخيانة وتضييع لمسئولية الولاية، قال الإمام الشافعي : وإذا أهدى واحد من القوم للوالي هدية فإن كانت لشيء ينال به منه حقاً أو باطلاً أو لشيء ينال منه حق أو باطل فحرام على الوالي أن يأخذها، لأن حراماً عليه أن يستعجل على أخذه الحق لمن ولي أمره وقد ألزمه

الله عز وجل أخذ الحق لهم، وحرام عليه أن يأخذ لهم باطلاً والجعل عليه أحرم، وكذلك إن كان أخذ منه ليدفع به عنه ما كره، أما أن يدفع عنه بالهدية حقاً لزمه فحرام عليه دفع الحق إذا لزمه وأما أن يدفع عنه باطلاً فحرام عليه إلا أن يدفع عنه بكل حال[٣٥]

فالشافعي في هذا النص يحرم على الوالي أن يأخذ من أحد هدية لينال حقه أو ليدفع عنه باطلاً، كما يشدد في تحريم أن تكون الهدية سبيلاً لباطل فالجريمة في هذه الحالة مركبة أو مضاعفة.

ثم يقول بعد هذا : وإن أهدى له من غير هذين الوجهين أحد من ولايته فكانت تفضلاً عليه أو شكراً لحسن في معاملة، فلا يقبلها، وإن قبلها كانت في الصدقات لا يسعه عندي غيره إلا أن يكافئه عليها بقدرها فيسعه أن يتمولها[٣٦]

فالهدية وإن لم تكن من أجل الحصول على نفع من الوالي بأن كانت شكراً على ما فعل فلا يجوز أن يقبلها وإن قبلها فليست حقاً له وعليه أن يدخلها في الصدقات اللهم إلا إذا شكر صاحبها بمثلها، فيسع الوالي حينئذ أن يأخذ ما أهدي إليه.

وانتقل الشافعي إلى صورة أخرى من الهدية للوالي فقال : «وإن كان من رجل لا سلطان له عليه، وليس بالبلد الذي له به سلطان شكراً على حسن ما كان منه فأحب إليّ أن يجعلها لأهل الولاية إن قبلها، أو يدع قبولها، فلا يأخذ على الحسن مكافأة، وإن قبلها فتمولها لم تحرم عليه عندي»[٣٧].

فالهدية في هذه الحالة لا شبهة حولها من حيث التقرب للوالي، وإنما هي لون من الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم، ومع هذا يجنح الشافعي إلى عدم قبولها: لأن المرء لا ينبغي أن يأخذ على الإحسان مكافأة، فإن قبلها فلا ينتفع بها وإنما ينفقها في سبيل الله، وليس حراماً عليه أن يتمولها..

ومن هذا كله يبدو مبلغ حرص الإمام الشافعي على أن يكون ما يحوزه الإنسان من مال حلالاً لا شبهة فيه، يجب أن يكون كسباً طيباً، وسبيل الكسب الطيب هو العمل.

---

٣٥ - الأم جـ ٢، ص ٥٠.

٣٦ - المصدر السابق، والتمول، اتخاذ الشيء للقنية، وهو ما اتخذه المرء لنفسه لا للتجارة، وانظر: معجم لغة الفقهاء وضع الدكتور محمد رواس قلعه جي، والدكتور حامد صادق قنيبي.

٣٧ - الأم جـ ٢، ص ٥٠.

ويؤكد الشافعي على وجوب العمل للكسب الطيب في ردّ شهادة من يغشي الدعوة بغير دعاء قال: «ومن تأكدت عليه أنه يغشي الدعوة بغير دعاء من غير ضرورة ولا يستحل صاحب الطعام فتتابع ذلك منه ردت شهادته؛ لأنه يأكل محرماً إذا كانت الدعوة لرجل بعينه»[٣٨].

فهذا الذي يحضر الطعام دون دعوة إليه، ويتخذ ذلك عادة له هو إنسان ساقط المروءة يؤثر أن تمتد يده إلى موائد الناس، دون أن يبذل ويعمل، فهو يأكل من ثم حراماً، إنه إنسان مستهلك وعالة على غيره، وليس أهلاً لقبول الشهادة منه لذلك.

وإذا كان هذا الطفيلي ساقط المروءة وترد شهادته فإن المتسول ترد شهادته من باب أولى؛ لأنه أسوأ حالاً من هذا الذي يغشي الطعام دون دعوة إليه، قال الإمام الشافعي: فأما من يسأل عمره كله أو بعض عمره وهو غني بغير ضرورة ولا معنى من هذه المعاني (بقصد ما أشار إليه من قبل من الضرورات التي تبيح السؤال) ويشكو الحاجة فهذا يأخذ ما لا يحل له، ويكذب بذكر الحاجة فترد بذلك شهادته[٣٩].

فمن يسأل الناس دون حاجة ترد شهادته؛ لكذبه ولأنه بما يفعل يرضي لنفسه بالمهانة، وأن تكون يده السفلى دائماً، وهذا ليس من خلق المسلم الذي خلقه الله حراً، ويجب أن يكون حراً كما خلقه، والسبيل إلى الحفاظ على هذه الحرية هو العمل الذي يكفل للإنسان حياة كريمة عزيزة لا تعرف الحاجة أو المذلة.

والشافعي الذي يدعو المسلم إلى أن يكون كسبه لا شبهة فيه، كما يدعوه إلى أن يربأ بنفسه عن الدنايا وسفساف الأمور، ليكون إنساناً عاملاً منتجاً ينفع نفسه، وغيره، بلغ به الحرص على أن يكون المسلم صورة مشرقة للكرامة والعفة والكسب الطيب، أنه قال: «وإذا نثر على الناس في الفرح (طعام أو ذهب مثلاً) فأخذه بعض من حضر لم يكن هذا مما يجرح به شهادته أحد، لأن كثيراً يزعم ان هذا مباح حلال؛ لأن مالكه إنما طرحه لمن يأخذه، فأما أنا فأكرهه لمن أخذه، من قبل أنه يأخذه من أخذه ولا يأخذه إلا بغلبة لمن حضره إما بفضل قوة، وإما بفضل قلة حياء، والمالك لم يقصد به قصده، وإنما قصد به قصد الجماعة فأكرهه لأخذه، لأنه لا يعرف حظه من حظ من قصد به بلا

٣٨ - المصدر السابق جـ ٦، ص ٢١٥.

٣٩ - المصدر السابق ص ٢١٣.

أذية، وأنه خلسة وسخف»[٤٠].

إن الإمام الشافعي في هذه الصورة التي تمثل تكالب الناس وتدافعهم لأخذ ما نثر عليهم، إنما يعبر عما يجب على المسلم أن يأخذ نفسه به في الحصول على المال، يجب أن يحصل عليه بأسلوب مهذب كريم لا يعرف المخاتلة والمراوغة والأذى.

وإذا كان على كل والد أن ينفق على أولاده فإن هذه النفقة ليست مطلقة وإنما هي مقيدة بالبلوغ في نظر الشافعي. قال: «وينفق على ولده حتى يبلغوا المحيض والحلم ثم لا نفقة لهم عليه إلا أن يتطوع إلا أن يكونوا زمني فينفق عليهم قياساً على النفقة عليهم إذا كانوا لا يغنون أنفسهم في الصغر، وسواء في ذلك الذكر والأنثى، وإنما ينفق عليهم ما لم تكن لهم أموال، فإذا كانت لهم أموال فنفقتهم في أموالهم»[٤١].

ويؤخذ من هذا النص أن الإمام الشافعي يرى أن نفقة الأولاد تجب على أبيهم حتى يبلغوا، وأنهم بعد البلوغ لا نفقة لهم إلا إذا كانت هناك ضرورة كالمرض وهذا يشير إلى أن على الأولاد ذكوراً وإناثاً، ألا يكونوا عالة على أبيهم بعد البلوغ، وأن يعملوا ويتكسبوا[٤٢].

ويتضح مما سبق حول العمل أن الشافعي لا يبيح لمسلم أن يحصل على مال تحوم حوله شبهة ما، وأن الإنسان إذا بلغ صحيح الجسم فليس له على أحد حق الإنفاق وأن عليه أن يبدأ رحلة العمل والكسب ليعيش من عرقه وجهده، والإمام الشافعي مع هذا يثير في نفس المسلم معاني الكرامة والعفة، فلا يصبح المال في نظره غاية في ذاته يسعى لجمعه دون اعتبار لقيم أو مبادئ حتى يكون كسبه كله حلالاً طيباً.

٤٠ - المصدر السابق ص ٢١٦.

٤١ - المصدر السابق جـ ٥، ص ٧٨.

٤٢ - قد يكون رأي الشافعي في أن سن البلوغ هو بداية مسئولية الإنسان عن نفسه من حيث الإنفاق ملائماً لعصره، ولكنه قد لا يلائم عصرنا، لأن سن البلوغ في أيامنا لا يتيح فرصة العمل نظراً لما يفرضه العصر من ثقافات وطاقات علمية يحتاج المرء في تحصيلها إلى وقت غير قصير، ويتجاوز سن البلوغ، ومع هذا يظل رأي الشافعي ذا دلالة مهمة على وجوب أن يعمل الإنسان متى بلغ، وأن يكفي مؤنة نفسه، وإذا كان عصرنا لا يجعل سن البلوغ بداية المسئولية، فإن رأي الشافعي يحض على أن يسرع الإنسان في استقلاله بمسئوليته عن نفسه فلا يضيع وقتاً طويلاً في دراسته مثلاً، حتى يحصل على مؤهل علمي يفتح له باب العمل.

ولما كان العمل أقصر الطرق للتنمية الاقتصادية، ولما كانت المجتمعات التي لا يعرف أفرادها الخمول والإهمال، وإنما يعرفون العمل في إخلاص ويبذل كل منهم من جهده بقدر ما يستطيع هي المجتمعات التي تنعم بوفرة اقتصادية تحقق لها الاستقرار والرخاء، والقوة والكرامة - ولما كان الأمر كذلك فإن حرص الإمام الشافعي على أن يكون كل مسلم قادر على العمل قوة عطاء وإنتاج وأن يكون كسبه دائماً من عمل يده، يبين لنا أن هذا الإمام يريد للأمة أن تكون قوية في كل مجالات التنمية الاقتصادية، وأن المسلم الذي لا يسهم بما منح من طاقة في هذه المجالات ولو كان ذا مال وفير يعوق حركة التنمية ويساعد على تخلف الأمة.

ثانياً : الزكاة :

الزكاة في الإسلام من دعائم التنمية الاقتصادية، فهي تحقق التكافل بين أبناء الأمة الواحدة، وهذا التكافل في ذاته من وسائل هذه التنمية، لأنه يوزع المال فلا يكون دولة بين الأغنياء، وفي توزيعه إتاحة الفرصة للجميع، لأن يعمل كل في ماله، وأن يكون لديه الوقت، للتفكير فيما يفيد نفسه، وغيره، فهمّ المعاش يشل غالباً حركة العقل، ويحصره في دائرة ضيقة، لا تسمح بالإبداع والابتكار، ومن هنا يتخلف ركب العلم في الدول الفقيرة، فسعار البطن يطغي على أشواق العقل، وصدق شاعر العصر الحديث أحمد شوقي حين قال :

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم لم يبن ملك على جهل وإقلال

فالزكاة وهي حق واجب وليست منا ولا تفضلاً أو إحساناً توفر لمن لا مال لهم أو لمن لهم مال ولكن انفقوه في المكارم مستوى معقولاً من العيش يتيح لهم أن يعملوا ويفكروا، ومن ثم يسهمون في التنمية الفكرية والمادية.

والزكاة في أصل فرضيتها دعوة إلى العمل وتنمية المال، لأن من لا مال له لا زكاة عليه، وكسب المال الذي تجب فيه الزكاة لا سبيل إليه إلا بالعمل فالذين يعملون هم الذين يملكون المال، والذين لا يعملون يعيشون فقراء ويتكففون الناس.

على أن الزكاة من جهة أخرى تحض على التنمية وبخاصة في النقود وعروض التجارة، وذلك لأن إخراج الزكاة من المال دون تثمير هذا المال وتنميته يؤدي إلى أن

تأكل الصدقة المال بمرور الزمن، فلا يبقى منه شيء، ولذا كان الأمر بالإتجار في أموال اليتامى - والزكاة في أموالهم واجبة كما يرى الشافعي - حتى لا تأتي عليها الزكاة.

وطوعاً لهذا لا يكنز المسلم مالاً، ولا يحبسه عن التداول، وإنما ينميه بالوسائل المشروعة، فتدور عجلة الإنتاج في الأمة، ويجد كل باحث عن العمل مجالاً يعمل فيه فتتوارى البطالة وتزداد الثروة، وينعم الجميع بالرخاء.

وما سبق القول فيه عن الزكاة يلتقي مع الشافعي حوله كل الفقهاء، وإن خالفه من خالفه في وجوب الزكاة بالنسبة لأموال اليتامى، ولكن للشافعي في هذه الفريضة بعض النظرات التي لها علاقة بالتنمية الاقتصادية فهو في توزيع الزكاة على الأصناف الثمانية لا يرى أن يعطي من الصدقة مشرك[٤٣] بقصد تأليفه على الإسلام، ويقصر معنى المؤلفة قلوبهم على الذين دخلوا في الإسلام وكانوا حديثي عهد بالكفر، فهؤلاء هم دون غيرهم من الذين يأخذون من الزكاة تأليفاً لهم وحماية لإيمانهم من الضعف حتى لا يرجعوا إلى الكفر.

وفي هذا إشارة إلى أن مال الزكاة ينبغي أن يوزع في محيط الأمة وألا يوزع منه شيء خارج هذا المحيط، فهو مال الأغنياء من المسلمين يرد على فقرائهم، وفي ذلك ما يدل على أن الشافعي بالإضافة إلى نظرته في قصر مال الزكاة على المسلمين يتوخى من وراء هذا أن يتداول هذا المال في المجتمع الإسلامي وفي هذا التداول إثراء لحركة النشاط الاقتصادي عن طريق الأخذ والعطاء، وعن طريق استقرار الحياة وتوفير الأمن، وهذا من أهم وسائل التنمية والازدهار المادي فلا يمكن في مجتمع مضطرب لا يعرف الأمن أن يشق طريقه نحو التنمية والبناء في كل المجالات.

أما عن تفسير الغارمين، فالشافعي يرى أنهم صنفان: صنف إدانوا في مصلحتهم في غير معصية ثم عجزوا عن أداء ذلك، فيعطون في غرمهم لعجزهم، وصنف إدانوا في حمالات[٤٤] ، أو إصلاح ذات بين ومعروف، ولهم عروض[٤٥] ، تحمل حمالاتهم أو عامتها

٤٣ - انظر الأم جـ ٢، ص ٦١.

٤٤ - حمالات : جمع حمالة، وهي ما يحمله الإنسان من الغرم كالدية ونحوها عن الغير إصلاحاً لذات البين.

٤٥ - العروض جمع عرض، وهو المتاع، وكل شيء فهو عرض سوى الدراهم والدنانير، فإنها عين (انظر معجم لغة الفقهاء).

إن بيعت أضر ذلك بهم، وإن لم يفتقروا فيعطي هؤلاء ما يوفر عروضهم كما يعطي أهل الحاجة من الغارمين حتى يقضوا غرمهم(٤٦) .

فتفسير الغارمين بأنهم الذين ادانوا في غير معصية هو المعنى الذي تتفق حوله كلمة الفقهاء، ولكن إدخال الذين يتحملون عن غيرهم وينفقون للإصلاح بين الناس ليس موضع اتفاق، والشافعي يرى أن هؤلاء يدخلون في الغارمين ولو كان لهم مال حتى لا تكون مواقفهم في الإصلاح سبباً لإملاقهم وضياع أموالهم، وحتى يظلوا في مستوى كريم من العيش.

وقد روى الإمام مسلم في هذا حديثاً عن قبيصة بن مخارق الهلالي قال : تحملت حمالة فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيها فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها، قال ثم قال : يا قبيصة : إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، أو قال سداداً من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من ذوي الحجامن قومه، لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة سحتاً يأكلها صاحبها سحتاً(٤٧) .

ولهذا المعنى وهو إدخال الذين يتحملون في الغارمين علاقة وثيقة بالتنمية الاقتصادية، لأنه من جهة يشجع على الإصلاح وبذل الأموال في سبيل الخير، وفي ذلك توثيق لروابط الأخوة بين أبناء الأمة، ومقاومة لكل عوامل الشقاق والخلاف، فتسود المودة والمحبة ويتآلف الجميع على البر والتقوى وهذا - يعني أن الحياة في المجتمع الإسلامي حياة إنسانية لا تعرف الفردية والأنانية والسلبية، فيتحقق للتنمية الاقتصادية في هذا المجتمع أهم أسباب النشاط والازدهار، وهو الإنسان الذي يرعى مصلحة غيره قبل مصلحته، والذي يؤثر سواه على نفسه، والذي يرى في المال وسيلة للتعاطف والتراحم لا وسيلة للاستغلال والطغيان.

[يتبع]

٤٦ - انظر الأم جـ ٢، ص ٦١.

٤٧ - صحيح مسلم بتعليق الأستاذ فؤاد عبد الباقي، ص ٧٢٢، ص. دار احياء الكتب العربية، القاهرة.

دراسات أدبية :

الاعتذار في الشعر العربي الإسلامي

الدكتورة عطية بنت خليل الأنصاري الخزرجي
رئيسة قسم اللغة العربية (سابقًا) بجامعة كراتشي - باكستان

[الحلقة الثانية الأخيرة]

فن الاعتذار في الشعر الأندلسي :

وفي نفس الوقت إذا أردنا أن نلقى نظرة عابرة على فن الاعتذار في الشعر الأندلسي لوجدنا أخيلة الشعراء في المغرب أرق وألطف ، وشعرهم رقيقة اللفظ ولطيفة المعنى وأفكارهم غير أفكار العباسيين ، حتى الشاعر الأندلسي يسعى ويتلمس لصاحبه الأمير و لنفسه وسيلة للعتاب ليقول القصيدة في مدحه ويرضيه ، فهذا إبراهيم بن سهل الأشبيلي يقول ما لا نجد له نظيرًا في الشعر العباسي :

كأنني حين أبغي رضاك أبغي شبابا
وأشتهي منك ذنبا أبني عليه عتابا
حتى إذا كان ذنب فتحت للعذر بابا
ظمأت منك لوعد فكان وردي سرابا
لا خاب سؤلي لديك سؤلي لديك فخابا

وهناك نماذج كثيرة وجميلة في الاعتذار من الشعر الأندلسي غير أننا لا نريد الاسهاب فنكتفي باعتذار شخصيات بارزة ، ومنها المعتمد بن عباد نراه أمراء الشعر الأندلسي ، فلما كان المعتمد واليا على شلب في عام (٤٤٠-٤٤٥هـ) انغمس في اللهو انغماسًا أغضب أباه المعتضد بالله ، أدرك المعتمد خطأه واعترف به فكتب إلى أبيه بهذه القصيدة يمدحه بها

ويستعطفه وسنكتفى ببعض الأبيات :

سكن فـــؤادك ، لا تذهب به الفكر
ماذا يعيد عليـــــك البث والحذر

و ازجر جفونك لا تـرضى البكاء لها
و اصبر فقد كنت عند الخطب تصطبر

من مثل قومك ؟ من مثـــل الهمام أبى
عمرو أبيك له مجد و مفتخـــــر

له يد كل جبار يقبلهـــــــا
لو لا نداها لقلنا أنها حجـــــر

قد أخلفتني صروف أنت تعلمهـــا
و غال مورد آمالي بها كـــــدر

لم يأت عبدك ذنبا يستحق بـــــه
عتبا ، و ها هو قد ناداك يعتـــــذر

و إنما أنا ساع في رضاك فـــــان
أخفقت فيه ، فلا يفسح لي العمـــــر

أما ابن زيدون فهو أمير الشعر والنثر الأندلسي ، كان شاعرًا ثائرًا قد أظهر من الحنكة ما رفع منزلته عند ابن جهور حتى أصبح الأمير يرجع إليه في كل أمر من أمور الملك والسياسة ، فحسده منافسوه أيضًا مثل ما جرى على المتنبى فوشى أعداء ابن زيدون لدى الأمير ابن جهور وخوفوه عاقبة أمره حتى أمر ابن جهور بسجن ابن زيدون الشاعر الأديب ، فبقي أسيرًا زمنًا طويلاً ، ثم استعطف فيه ابن جهور بما يلين الحديد شعرًا ونثرًا ، فسنكتفى ببعض الأبيات التي استعطف بها ابن

جهور وهو استعطاف رائع ممزوج بالمدح والعتاب يرسم لنا صورة من البؤس الذي فتق لسان ابن زيدون الشاعر الذكي الفذ ، وأثار في نفسه هذه العاصفة الشعرية فملأت قلبه الرقيق همًا وحزنًا ، يقول ابن زيدون :

ألا يأن أن يبكى الغمام على مثلي
ويطلب ثأرى البرق منصلت النصل

و هلا أقـــامت أنجم الليل مأتما
لتندب في الآفاق ما ضاع من نبلى

و لو أنصفتني و هي أشكال همتي
لألقـــت بأيدي الذل لما رأت ذلى

و لو أنني أسطيع كـي أرضي العدا
شريت ببعض الحلم حظا من الجهل

أما الموقف الثاني فهو أيضًا لابن زيدون في رسالته الجدية التي كتبها وهو في السجن يعتذر فيه ابن جهور نثرًا ، وقد كثر حساد ابن زيدون في بلاط ابن جهور وفي خارج البلاط ، وكان أعظمهم أثرًا الوزير أبو عامر ابن عبدوس ، فيقول :

يا مولاي ! وسيدي الذي ودادي واعتدادي به وامتدادي منه أبقاك الله ماضي حد الظلم وأري زند الأمل ثابت عهد النعمة ، إن سلبتني - أعزك الله - لباس نعمائك وعطلتني من حلي ايناسك ... وغضضت عني طرف حمايتك بعد أن نظر الأعمى إلى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائي عليك ، فلا غرو قد يغص بالماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفي به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منيّة المتمني في أمنيته ...

كل المصائب قد تمر علـــى الفتى
و تهون ، غير شماتة الأعـــداء

وإني لأتجلد أرى الشامتين (أنى لريب الدهر لا أتضعضع) ، فأقول : هل أنا الأيد ، أدماها سوارها ، وجبين عضه .. إكليله ... وهذا العتب محمود عواقبه ... وهذه النكبة « سحابة صيف عن قليل تقشع » ... ومع اليوم غد ... ولكل أجل كتاب .

وأعود فأقول ليت شعري ، ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك ، والجهل الذي لم يأت من وراته حلمك ... ولا أخلو من أن أكون بريئًا فأين العدل أو مسيئًا فأين الفضل [انظر : الرسالة الجدية - القاهرة ١٢٧٨هـ-١٨٦٢م تحقيق أبو بكر محمد الحكيم القاهرة ١٢٤٥هـ] .

وأخيرًا ننتقل إلى فن الاعتذار في النثر وله ثلاثة أنواع :

النوع الأول : صادر من أدباء ورواة الأدب العربي لأصدقائهم ، وذلك مثل ما كتبه كل من الجاحظ وابن المكرم وأبي منصور الثعالبي وأبي بكر الخوارزمي ، وغيرهم من كبار رواة الأدب العربي واللغة .

النوع الثاني : صادر من فئات مختلفة الناس للخلفاء والأمراء .

النوع الثالث : في التنصل والتبرء من التهمة الموجهة للشخص ، والمعاني في مثل هذه الاعتذارات ومحاولات التنصل والتبرؤ تكاد تكون واحدة مع بعض الاختلاف في الأساليب التي يعبر بها عنها .

وكثيرًا ما تحتوي على مقتبسات من القرآن الكريم ، بخاصة الآيات التي تحث على العفو والكرم وكظم الغيظ والحلم والإحسان ، وقد تكون من الحكم ولأمثال والأشعار وأقوال بعض الرجال المشهورين .

وهنا سنكتفي بعرض بعض مواقف الاعتذارات الطريفة في هذا المجال نستهلها بنموذج مما كتبته زبيدة زوجة هارون الرشيد إلى الخليفة المأمون الرشيد وهو كما يلي :

وبعد ! فهذه رقعة الولهى إليك ، التي ترجوك في الحياة لنوائب الدهر ، وفي الممات جميل الذكر ، فإن رأيت أن ترحم ضعفي واستكانتي وقلة حيلتي وأن تصل رحمي وتحتسب فيما جعلك الله له طالبًا - وفيه داعيًا ، فافعل ، وتذكر من لو كان حيًا ، لكان شفيعي إليك .

فرد أمير المؤمنين المأمون الرشيد عليها بقوله :

« وصلت رقعتك يا أماه ! أحاطك الله تعالى وتولاك بالرعاية ، ساءنى - شهد الله - جميع ما أوضحت فيها ولكن الأقدار نافذة ، والأحكام جارية ، والأمور متصرفة ، والغدر والبغي حتف الإنسان ، والمكر راجع إلى صاحبه ، وقد أمرت بردّ ما أخذ لك ولا تفقدى ممن مضى إلى رحمة الله تعالى ، إلا وجهه ، وأنا بعد ذلك أكثر مما تختارين ، والسلام عليك (١٤).

هذا نموذج من اعتذارات النساء المثقفات في العصر العباسي الأخير ، و رد الخليفة يوضح لنا خير مثال من آداب الخلفاء المسلمين وسعة صدورهم مثل المأمون الرشيد لامرأة أبيه زبيدة أم الأمين الرشيد .

أما الآن فنود أن نسجل نموذجًا آخر من فن الاعتذار وقد نقل مثل هذه النماذج إلينا أوثق الرواة والأدباء العرب من مؤرخي الأدب العربي كأمانة تاريخية .

أما الموقف الثاني في فن الاعتذار فهو لتميم بن جميل السدوسي وكان قد خرج بشاطئ الفرات واجتمع إليه كثير من الأعراب ، فعظم أمره بعد ذكره ثم قبض عليه وحمل موثقًا إلى باب الخليفة المعتصم بالله ، فقال أحمد بن داؤد وزير المعتصم :

« ما رأيت يا أمير المؤمنين ! رجلاً عاين الموت ، فما هاله ولا شغله

عما كان يجب أن يفعله إلا تميم بن جميل ، فإنه لما مثل بين يدي الخليفة ، فأحضر السيف و النطع و أوقف بينهما ، تأمله المعتصم ، و كان جميلاً وسيمًا ، فأحب الخليفة أين يعلم أن لسانه من منظره ، فقال : تكلم يا تميم ! أما إذا أذنت أمير المؤمنين ! فأقول :

« الحمد لله الذي أحسن كل شئ خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، جبر بك صدع الدين ، ولمّ بك شعث المسلمين ، إن الذنوب يا أمير المؤمنين - تخرس الألسنة الفصيحة ، وتعيي الأفئدة الصحيحة ، ولقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة ، وساء الظن ولم يبق إلا عفوك أو كرمك ، وأرجو أن يكون أقربهما وأسرعهما إلى أشبههما بك ، وأولاهما بكرمك ، ثم أنشد مرتجلاً :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنًا
يلاحظنـــــي من حيثما أتلفت
و أكبر ظني إنك اليوم قاتلـــي
و أي امرئ مما قضـــى الله يفلت
و أي امرئ يأتي بعذر و حجـــة
و سيف المنـايا بين عينيـــه مصلت
و ما جزعي من أن أموت و إننـــى
لأعلم أن الموت أمـــر مـــؤقت
ولكن ، خلفي صبية قد تـــركتهم
و أكبـــادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم ، حين أنعـــى إليهم
و قد خمشوا تلك الوجوه و صـوتوا

فإن عشت عاشوا خافضين بغبطـــة
أذود الردى عنهم ، و إن مت موتـــوا
و كـــــم قائل ، لا يبعد الله روحه
و آخر جـــــذلان ، يسر و يشمت

فتبسم المعتصم وقال : كاد والله يا تميم ! أن يسبق السيف العذل ، قد وهبت لك الصبية وغفرت لك الصبوة ، ثم أمر بفك قيوده ، وخلع عليه .

وكان أيضًا من سعة صدر المأمون الرشيد إذ قبل العذر من عمه إبراهيم المهدي فقد ادعى الخلافة بعد قتل الأمين الرشيد وقبل عودة المأمون من خراسان إلى بغداد وقد أعانه على ذلك عدد كبير من أهل بغداد .

ثم خلع وغلب أمره فاختفى ، حتى ظفر به المأمون بعد عودته من خراسان ، و (كان إبراهيم المهدي بارعًا في الأدب واللغة) أمر المأمون بإبراهيم المهدي فأدخل عليه ، فلما وقف بين يديه فكأن الموت نصب عينيه ، فقال المأمون : هيه يا إبراهيم ! قال إبراهيم المهدي : يا أمير المؤمنين : ولي الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى ، ومن تناوله الاغترار بما مد له من أسباب الشفاء ، أمكن عادية الدهر من نفسه ، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب .

كما جعل ذي ذنب دونك ، فإن أخذت فبحقك ، وان عفوت فبفضلك ثم أنشد :

ذنبي إليك عظيـــم ... و أنت أعظم منـــه
فخذ بحقـــك أو ، لا ... فاصفح بفضلك عنـــه
إن لم أكـــن في فعالي ... من الـكرام فكنه (١٥)

ثم استعبر إبراهيم باكيًا ، فقال له المأمون : ما يبكيك ؟ قال : « إنه

كان بلغ جرمي استحلال دمي ، فحلم أمير المؤمنين وفضله بلغاني عفوه ، ولي بعدهما شفاعة الإقرار بالذنب وحق الأبوة بعد الأب . فقال أمير المؤمنين المأمون الرشيد :

يا إبراهيم ! لقد حبب إلى العفو حتى خفت ألا أوجر عليه ، أما لو علم الناس ما لنا في العفو من اللذة ، لتقربوا إلينا بالجنايات ، لا تثريب عليك ، يغفر الله لك ، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفح عن جرمك ، لبلغك ما أمّلت حسن تنصلك ولطف توسلك ، ثم أمر برد ضياعه وأمواله .

فقال إبراهيم المهدي في مدح المأمون مرتجلاً :

رددت مالي ولم تبخل علي بـــــه

و قبل ردك مالي قد حقنت دمـــي

و قام عدلك بي فاحتج عندك لـــي

مقام شاهد عدل غيـــــر متهم (١٦)

وقد أخذ بعض الشعراء قول المأمون هذا « لقد حبب إلى العفو حتى خفت ألا أوجر عليه » قال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في نفس المعنى نظمًا :

لو يعلم العافون كم لك من نـــدى

من لذة و قريحة لم تخمـــــد

فكان أبو تمام في هذا كما قال أبو العباس المعتز في القاسم بن عبد الله :

إذا ما مدحنا استعنّا بفعلـــه

فنأخذ معنى قولنا من فعـــاله

وكان إبراهيم المهدي يقول : « والله ، ما عفا عني المأمون لرحم ولا

لمحبة ، ولكن كانت له سوق في العفو كره أن يفسدها (بي) » (١٧) .

والمأمون قد شاور في قتل إبراهيم بن أبي خالد الأحول ، فقال : و الله يا أمير المؤمنين إن قتلته فلك نظير ، وإن عفوت عنه فلا نظير لك ، فإني أختار لك العفو (١٨) .

وكل اعتراف صادق يجب أن يكون فيه من شعور الأسف على ارتكاب الجريمة أو اقتراف الذنب وكذلك الاستعطاف بأحسن وأجمل معاني هذه الكلمة (الاعتذار والاستعطاف) والعفو عند المقدرة من صفات كريمة وقبل كل شئ من أخلاق الله -عزوجل- سبحانه وتعالى ، ومن شيم وشمائل خير الورى محمد رسول الله -ﷺ- إذ كان خلقه (القرآن) كما أن كظم الغيظ والكرم والصفح الجميل من صفات المؤمنين حقًا ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ﴾ [القرآن الكريم] .

الأمة المحمدية هي خير أمة على وجه الأرض ، فكل مؤمن ، من أبناء هذه الأمة يخاف الله سبحانه وتعالى ويسأله العفو والعافية في الدنيا و الآخرة قد يكون متحليا بمكارم الأخلاق ، وقد قال رحمة للعالمين -ﷺ-: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وللمؤمنين في رسول الله « أسوة حسنة » وهذه الأمثلة والنماذج الخالدة من الاعتذار والاستعطاف أقل قليل من الكثير التي توجد في أمهات الكتب من الأدب العربي الإسلامي المجيد ، لم نذكرها خوفًا من الإسهاب .

وأخيرًا نسأل الله التوفيق لكل من يقبل العذر ، وذلك من صفة الكرام كما قال سيدنا كعب بن زهير -ﷺ- في قصيدته البردة الخالدة :

نُبئت أن رسول الله أوعـــــدني

و العفو عند رسول الله مقبـــــول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة القر ..
.. آن ، فيها مواعيـــــظ و تفصيل
لا تأخذني بأقوال الـــــوشاة و لم
أذنب ، و لو كثرت فيّ الأقاويل (٢٠)

++++

الهوامش :

(١٤) الأعلام للزركلي .
(١٥) كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : ج/٤ طبع (ساسي) .
(١٦) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية لجزء الأول ، المطبعة الإسلامية استانبول تركيا ١٩٧٢م .
(١٧) شعراء مخضرمي الدولتين للدكتور حسين عطوان طبع مصر .
(١٨) نفح الطيب للمقري .
(١٩) المعتمد بن عباد للدكتور عبد الوهاب عزام دار العلم للملايين وكذا إقبال أكادمي - لاهور .
(٢٠) ديوان كعب بن زهير بن أبي سُلمى ، من قصيدة البردة .

صور و أوضاع

من الغزو الفكري إلى الغزو النفسي

واضح رشيد الندوي

تختلف مشاكل المسلمين عن مشاكل الأمم الأخرى ، عن المشاكل العالمية الأخرى ، فإن المشاكل العالمية التي تعاني منها طبقات أو شعوب ، أو جماعات وفرق ، فهي مشاكل ذات وجه واحد ، إنها عنصرية في مكان وسياسية في مكان آخر ، وثقافية ، أو اقتصادية ، وجميع هذه المشاكل بهذه النوعية المحددة ، والنطاق المحدود لها أطر معينة ، تقاس بها ، وتعالج في دائرتها ، وحدودها ، والبحث عن حلولها ميسور عاجلاً أو آجلاً ، وقد عولجت مشاكل كثيرة من هذا القبيل ، لأنها لا تقترن بالمشاعر ، ولا الخلفيات الذهنية ، ولا تثير ردود فعل ، وليست لها جذور عميقة ، وإنما هي مشاكل سطحية طافية ، وقد عولجت في العصر الأخير مشاكل عديدة ، وسويت نزاعات متعددة ، فتغيرت الأوضاع ، وعادت إلى طبيعتها بعد إراقة دماء وتدمير واسع ، وسقطت الحواجز والجدران القائمة بين الفرقاء المختلفين المحاربين ، وانضمت الأجزاء المتحاربة إلى كيان واحد .

لكن مشاكل المسلمين في العالم هي مشاكل متعددة الجوانب ومتأصلة الجذور ، ومتعددة المصادر ومتنوعة البواعث مختلفة الجبهات ، ومتعددة العناصر ، تجتمع فيها جميع هذه الجوانب المذكورة من الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والعنصرية ، بالإضافة إلى الجانب الفكري والعقدي والجانب النفسي ، ولذلك فإنهم يواجهون حربًا من أعدائهم وشبه أعدائهم من جبهات مختلفة ، من الجبهة الاقتصادية ، تفرض عليهم ضغوط اقتصادية ، من الداخل ، ومن خارج البلاد ، وتفرض عليهم ظروف سياسية خاصة لإحداث القلاقل ، والفوضى ، والصراع ، بمنع قيام حكومات شعبية منتخبة ، في انتخابات حرة ، أو مرضية تقوم برضى

عامة الشعب المسلم ويعتبرها المسلمون الحارس الأمين لمصالحهم ورغباتهم ، ولذلك يعيش المسلمون في كبت ويواجهون سياسة القمع من حكامهم الذين يعتبرون أنفسهم أنهم غرباء أجانب ، أو عملاء للأجانب ومفروضون على شعوبهم رغم انفهم ، ومهما تعاونت معهم وسائل الإعلام ، فإن الدعايات المكثفة من أبواق الجهات الرسمية لا تستطيع أن تكسب الود والرضى أو تزيل الشكوك والشبهات من قلوب أفراد الشعب الذين يعاينون واقعًا مريرًا ، و وضعًا عنيفًا .

ويواجه المسلمون بجانب الظروف السياسية القلقة والضغوط الاقتصادية المحرجة ، صراعًا عنصريًا ، وهو صراع أبعد ما يكون من الإسلام وطبيعته ، وتاريخه ، لأن الإسلام هو الدين الذي يدعو إلى أمة واحدة لا قومية ولا وطنية ولا طائفية ولا عنصرية ، كلكم من آدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ، وقد حقق الإسلام وحدة إنسانية دامت قرونًا ، لم تتحد فيها القبائل و الأمم و الطوائف المختلفة فحسب ، بل عاشت فيها أديان مختلفة في حماية وذمة ، وبكرامة وعزة .

لقد فرض الاستعمار على المسلمين هذه الصراعات القومية ، والوطنية والعنصرية ، لأن هذا التصور هو تصور أوربي ، استورده المتغربون من أوربا ، فانقسم المسلمون إلى الترك ، والفرس ، والعرب ، والكرد ، ثم انقسموا إلى المهاجرين ، والمواطنين ، فيواجه المسلمون هذه القضايا في بلدانهم ، وتُراق دماؤهم وهم ينتمون إلى الإسلام الذي قام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وسجل روائع من الأخوة الإسلامية التي شاركت فيها الفئتان مشاركة تامة ، فنسى الناس الفروق بينهما ، كما نسى الناس الفروق بين المنتمين إلى أوطان مختلفة وثقافات مختلفة .

كان الفرس والترك والمماليك درعًا للإسلام ودرعًا للعرب ، قرونًا طويلة ، وكانت دائمة لا تخلو ، ولا تنبو ، وظل هذا التآخي والتناصر إلى القرن الأخير ، إلى أن غُزي المسلمون بالاستعمار الذي شتت شملهم ، وفرق جمعهم ، وأحدث بينهم فجوات وثغرات لا تلتئم .

كانت جميع هذه النكبات قابلة للمعالجة ، النكبات السياسية

والاقتصادية ، والعنصرية ، إذا غلبت روح الإسلام ، وعاد المسلمون إلى معينهم ، ومنبع قوتهم ، لكن أعداءهم لا يزالون بالمرصاد ، يتربصون بهم الدوائر ، ويوقعونهم في قضايا لا تدعهم يفكرون في أمرهم ، وتغشاهم سحابة فوق سحابة ، بل سحب متراكمة ، فهم يدافعون عن أنفسهم ويدافعون عن دينهم ، ويدافعون عن ثقافتهم ، وتاريخهم .

إنها استراتيجية عجيبة يواجهها المسلمون ، فهم يعيشون في ظروف قاسية ، متأزمة في جميع بلدانهم ، ثم تطلق عليهم السهام ، من كل جانب في الكتب ، والصحافة ، والإذاعة ، والسينما ، في لغات مختلفة ، حتى في وسائل التسلية والترفيه ، و الثقافة ، يواجه المسلمون موقفا معاندًا ، فلا تخلو الألعاب الرياضية ، من هذه العصبيات ، ولو كان الأمر يقف عند أسلوب البحث والتحقيق أو الجهل لكان من السهل أن يعالج ، فالجاهل يُعلم ، ولكن المتعلم ، لا يعلم .

إن الذين يكتبون اليوم ضد الإسلام والمسلمين في العالم كله ليسوا جهلاء ، وإنما يكتبون عن عمد ، فيخفون الحقائق ، ويزورونها ، ويدل على ذلك أنهم إذا وُجه إليهم إيضاح ، أو أراد أحد التفهيم ، عن طريق الحوار فيتخذون موقفًا سلبيًا .

إن الأزمات التي يواجهها المسلمون اليوم ، في مجالات مختلفة أزمات عامة ، ولكن أزمة الثقة في الإسلام ، التي احدثتها وسائل الإعلام والتعليم ، هي أخطر من جميع الأزمات ، وتزداد خطورة في غياب من يواجه هذه الأزمة من الخبراء ، والمثقفين والعقلاء ، فإنهم إما في السجون وإما هم ممنوعون من الدفاع ، والتصدى ، فيقف الاعلام المعادي للإسلام المهاجم وحده في الميدان ، وينتصر ، لأنه لا يواجه من يقاومه .

لقد كانت وسائل الإعلام في الغرب مشغولة بهذه الدعاية المعادية للإسلام من عهد طويل ، وقد تصاعدت هذه الحملة بالنفوذ الصهيوني الذي يتصاعد في آسيا وإفريقيا ، ومنها الهند ، فدخلت الهند في هذا المجال بعد توطد العلاقات مع الكيان الصهيوني .

++++

١- مجلة الأدب الإسلامي

قلم التحرير

تلقينا العدد السابع من السنة الثانية لمجلة الأدب الإسلامي الفصلية التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، من مكتب الرابطة للدول العربية ، برئاسة تحرير سعادة الدكتور الأستاذ عبد القدوس أبو صالح .

يتحلى العدد الجديد ببحوث أدبية ومقالات غنية بالمواد الأدبية والفنية التي تزيد إلى ثروة الأدب الإسلامي ، وتثري المكتبة الأدبية الإسلامية وتضيف إلى روعتها وبهائها .

يتميز هذا العدد من الناحية الأدبية والإبداعية ،حيث إنه يمثل الأدب الأصيل الملتزم ، ونهج الرابطة في الحكمة والاعتدال وخدمة قضايا الأمة وبناء الجيل الإسلامي عن طريق الكلمة الهادفة الطيبة ، فأصبح بذلك وثيقة أدبية تاريخية وعلمية للأدباء الباحثين والمبدعين .

ونحن إذ نتمنى للمجلة الانتشار والقبول والازدهار في جميع الأوساط العلمية والأدبية نرجو الله سبحانه وتعالى أن يمكّنها من تمثيل المنبر الإسلامي للأدب الإسلامي الهادف الأصيل والقيام بدور ريادي في تربية أجيال من الأدباء الإسلاميين الذين لا تختفي عليهم أهمية الأدب في بناء مستقبل الإنسان اللامع .

٢- شهادة المسجد البابري :

أهدى إلينا فضيلة الشيخ حبيب الله البالنپوري الفيروزي هذه الرسالة المنظومة التي أودع فيها دموعه ولوعات قلبه ولهفات نفسه في صورة شعر منظوم ، قرضه حول شهادة المسجد البابري ، التي كانت مأساة تاريخية لا ينساها المسلمون على امتداد التاريخ ، ويتحسرون عليها على مر الأجيال والعصور ، وهي تثبت وصمة عار على جبين تاريخ هذه البلاد ، الذي يتجمل بالتسامح واحترام الإنسان ، من خلال روح المحبة والانسجام العاطفي التي يحملها الشعب الهندي على الإطلاق ، وقد أصابها الحادث المأسوي بجروح بالغة لا تكاد تندمل بسهولة ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي يزور الربوع المقدسة

قام سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بزيارة الحرمين الشريفين ، على دعوة من رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة وذلك للحضور في دورة المجلس التأسيسي (٣٤) للرابطة ، المنعقدة في مقر الرابطة الموقرة بمكة المكرمة بين فترة ٢٠/ديسمبر ١٩٩٥م ٤/يناير ١٩٩٦م .

يرافقه في هذه الرحلة سعادة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي مدير دار العلوم لندوة العلماء ، وسوف تستغرق رحلته أسبوعين كاملين ، ويرجى أن يعود سماحته في سلامة الله تعالى في منتصف شهر يناير بإذن الله تعالى ، قبل صدور هذا العدد - إن شاء الله تعالى - .

ندعو الله سبحانه أن يكرم سماحته بالصحة والقوة وبالعودة الطيبة .

إلى رحمة الله تعالى :

فضيلة الشيخ عبد السميع الندوي في ذمة الله تعالى

كان نبأ وفاة الشيخ عبد السميع الندوي صباح الخميس الخامس من شهر شعبان ١٤١٦هـ (الموافق ٢٨/ديسمبر ١٩٩٥م) بمثابة صاعقة نزلت بأسرة دار العلوم لندوة العلماء ، ذاك أنه توفي فجاءة إثر نوبة قلبية ألمت به بعد منتصف الليل من غير سابق مرض ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الفقيد ، الناظر المساعد لقسم شئون التعمير وإدارة المالية منذ مدة طويلة ، فكان يهتم بأداء واجبه وإعداد العاملين الأكفاء في هذا القسم ، وقد توسعت الإدارة بجهوده المخلصة وأصبح لها شأن ذو أهمية ، كما أنه قام بتوسعة المكتبة التجارية في دار العلوم ، وبذل اهتمامه الخاص في طبع ونشر مطبوعات ندوة العلماء ، وكُتب المناهج الدراسية التي أعدها أبناء ندوة العلماء في الفنون المختلفة .

كان يشتغل بمهمته بصمت وإخلاص ، ويقضي وقته في أعمال كانت تتصل بإدارة قسم المالية والتعمير ، فجزاه الله على هذا الوفاء والشعور بالمسئولية خير ما يجزي به عباده العاملين المخلصين .

كان من متخرجي دار العلوم لندوة العلماء وقضى وقتًا في دار العلوم ديوبند أيام دراسته ، وكان يتمتع بالذوق العلمي والأدبي ، ويصدر صحيفة فصلية باللغة الأردية باسم « محكمات » كما أنه ألف كتابًا عن

تاريخ « كـــــوره » و سادة رجالها ، باللغة الأردية ، نال إعجابًا في الأوساط الأدبية والعلمية .

خلف وراءه عائلة كبيرة حافلة بالأولاد والبنات والأحفاد ، في هناء وسعادة .

وقد بعث سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي بيان تعزية على وفاته من مكة المكرمة ، لأنه كان في الربوع المقدسة أيام الحادث .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له زلاته وأدخله فسيح جناته ، وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

المهندس اقتدار علي خان في ذمة الله تعالى

توفي المهندس المسلم الغيور السيد اقتدار علي خان يوم الثلاثاء ٢٦/من ديسمبر ١٩٩٥م المصادف ٤/من شهر شعبان ١٤١٦هـ ، بعد مرض عقلي ألم به منذ مدة ، فكان قد فقد وعيه العام وأصبح طريح الفراش ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان المرحوم ذا علاقة وطيدة بندوة العلماء وسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي منذ أيام شبابه ، يسهم في تخطيط المشاريع الإنشائية والهندسة البنائية لندوة العلماء احتسابًا لله تعالى ، وأختير عضوًا في المجلس التنفيذي لندوة العلماء ، وقد بلغ إلى منصب رئيس المهندسين في حكومة أترابراديش في مصلحة الخدمات العامة وظل فيها إلى مدة ، ورغم أنه كان موظفًا رسميًا ولكنه كان يتميز بالتعفف والمحافظة على الصلوات بالجماعة ، كما أن أهله وأولاده كلهم كانوا متدينين ، يعيشون في نزاهة والتزام بالخلق الإسلامي .

رحمه الله رحمة واسعة وغفر له وألهم أهله وذويه الصبر والسلوان .

توفيت والدة الشيخ محمد غفران الندوي المسئول عن المجمع الإسلامي العلمي بندوة العلماء ظهر يوم الأربعاء ١١/من شهر شعبان ١٤١٦هـ- الموافق ٢/يناير ١٩٩٦م عقب مرض أصابها منذ مدة قريبة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كانت الفقيدة ذات أخلاق فاضلة ، و ورع وتدين ، قد تجاوزت الثمانين من عمرها .

ونحن إذ نعزى الشيخ محمد غفران وإخوانه ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتناولها برحمته الواسعة وغفر لها زلاتها ، وجعل الجنة مثواها .

إعلان الملكية

١— مركز النشر : مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء بادشاه باغ لكهنؤ .

٢— شهرية .

٣— ٤— الطابع و الناشر : شاهد حسين ـ هندى ـ استاف كوارتر دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ .

٥— رئيس التحرير : سعيد الأعظمى الندوى ، هندى الجنسية .

٦— ملك : مؤسسة الصحافة والنشر ندوة العلماء لكهنؤ .

أنا الموقع أدناه شاهد حسين أصدق أن التفاصيل المذكورة أعلاه صحيحة على حد علمى .

الناشر : شاهد حسين

مارس سنة ١٩٩٦م